AN ARTISTIC STUDY OF SHEIKH KHALIL [ANDUME'S POETRY

BY

ABDUL{ADIR SANI SULAIMAN

DEPARTMENT OF ARABIC
AHMADU BELLO UNIVERSITY ZARIA- NIGERIA

NOVEMBER, 2019

AN ARTISTIC STUDY OF SHEIKH KHALIL [ANDUME'S POETRY

BY

ABDUL{ADIR SANI SULAIMAN
P16ARAR8139

DEPARTMENT OF ARABIC
AHMADU BELLO UNIVERSITY, ZARIA - NIGERIA

A DISSERTATION SUBMITTED TO THE POSTGRADUATE SCHOOL,
AHNADU BELLO UNIVERSITY, ZARIA - NIGERIA, IN PARTIAL FULFILMENT FOR
THE AWARD OF MASTER OF ARTS DEGREE IN ARABIC (LITERATURE)

NOVEMBER, 2019

CERTIFICATION

This dissertation titled: AN ARTISTIC STUDY OF SHEIKH KHALIL [ANDUME'S POETRY by Abdul}adir Sani Sulaiman, meets the regulations governing the award of the degree of Master of Arts in the Department of Arabic, Ahmadu Bello University Zaria, and is approved for its contribution to knowledge and literary presentation.

Dr. Y. S. Imam — Date:……
Major Supervisor

Dr. N. T. Tajudeen — Date:……
Member Supervisory Team

Prof. I. Abbas — Date:……
Head of Department

Prof. S. A. Abdullahi — Date:……
Dean, Postgraduate School

DECLARATION

I declare that the work in this dissertation entitled: **AN ARTISTIC STUDY OF SHEIKH KHALIL [ANDUME'S POETRY** has been performed by me in the Department of Arabic Ahmadu Bello University, Zaria, under the supervision of Dr. Y. S. Imam, and Dr. N. T. Tajuddeen.

The information derived from the literature has been duly acknowledged in the text and a list of references provided no part of this dissertation was previously presented for another degree or diploma at any university.

Abdul}adir Sani Sulaiman	_____	_____
Name of Student	Signature	Date

[ii]

ABSTRACT

This dissertation attempts to study the artistic features of Sheikh Khalil [andume's poetry, in spite of the good qualities of the work, no research has been carried out in this particular area of literature. The work gives

the biography of the poet; his major works; and relationship to literature which reflected some of the major artistic theories in order to expose and show its relevance. This is followed by the conclusion, summary and recommendation given by the researcher. The importance of this research is derived from the fact that very little research was carried out in spite of the quality of the works. A thorough and critical analysis of the work was carried out to identify the artistic skills, knowledge and wisdom of the writer despite his disability as a blind man. The poet reflected upon his immediate society, his teachers and his people in relation to Islamic teachings and practices. The work revealed abundant treasure of knowledge and poetic skills that the present generation and schools could benefit from immensely. The poems needed to be developed and adopted for inclusion into Arabic curriculum to be studied in our schools. This will greatly enhance educational advancement in our schools especially in the area of Nigerian literature in Arabic.

DEDICATION

The reward of this humble work was conferred to my beloved father Alh. Muhammad Sani Maikwano (May his soul rest in peace).

[iv]

دراسة فنية في شعر الشيخ خليل "طَنْدُمي"

إعداد

عبد القادر ثاني سليمان

قسم اللغة العربية
جامعة أحمد بلو زاريا- نيجيريا

نوفمبر، 2019م.

دراسة فنية في شعر الشيخ خليل "طَنْدُمي"

إعداد
عبد القادر ثاني سليمان
P16ARAR8139

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي
مقدم إلى كلية الدراسات العليا
جامعة أحمد بلو زاريا-نيجيريا

نوفمبر، 2019م

الإقرار

يقر الطالب: عبد القادر ثاني سليمان بأن هذا البحث بعنوان: **دراسة فنية في شعر الشيخ خليل طندمي "دراسة أدبية تحليلية"**، من إعداده ولم يسبقه أحدٌ إلى تقديمه لنيل أية درجة علمية لا في جامعة أو مؤسسة علمية.

الطالب: عبد القادر ثاني سليمان

التوقيع:

الإهداء

أهدي ثواب هذا العمل المتواضع إلى روح والدي محمد الثاني مَيْ كوانُو (Mai kwano) راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنه ويكفر جميع سيئاته ويغفر له ويرحمه ويغسله بالماء والثلج والبرد وينقه من الخطايا والذنوب كما ينق الثوب الأبيض من الدنس، وأسأله تعالى أن يتقبل أعماله ويجعلها في ميزان حسناته، إنه سميع قريب وبالإجابة جدير.

الطالب:

عبد القادر ثاني سليمان

[ب]

كلمة الشكر والتقدير

يشكر الباحث الله سبحانه وتعالى ويحمده على ما أسبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة، وعلى ما أتاح له من الفرصة السانحة لانتهاء هذه الرسالة، والصلاة والسلام على أشرف

الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين الطيبين وأصحابه الهادين المهديين.

أما بعد:

فيسعد الباحث جدا أن يقدم جزيل شكره إلى سعادة الدكتور/ يهوذا سليمان إمام والدكتور/ نوح طاهر تاج الدين، اللذين أشرفا على هذه الرسالة وأنفقا فيها نفيس ما لديهما من وقت وجهد وإرشاد وتوجيه ونصائح قيمة إلى أن تم البحث وخرج كما هو الآن، فجزاهما الله خير الجزاء، ويسأل الله تعالى أن يديم حياتهما في خدمة العلم والدين ويتولى أمورهما ويدخلهما الجنة الفردوس وأن يغفر لوالدِيهما ويرحمهم ويجعل الجنة مثواهم ومثوانا جميعا إنه على كل شيء قدير.

ويقدم جزيل شكره وفائق تقديره إلى جميع المحاضرين بقسم اللغة العربية بجامعة أحمد بلو زاريا على ما بذلوه من المجهودات القيمة في تهذيب حياته وتكوين شخصيته على مدى سنوات عديدة، فجزاهم الله عنه وعن أسرته خير الجزاء.

ولن ينسى الباحث تقديم شكره إلى الزملاء على اقتراحاتهم النافعة وإرشاداتهم الحسنة وحسن معاشرتهم، ويخص منهم بالذكر: الأخ محمد كبير يحيى، المحاضر بقسم اللغات، كلية الفنون التطبيقية كدونا (Kaduna Polytechnic)، والمعلم إسماعيل جعفر، المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو زاريا،

والمعلم شعيب الرَّنْدَاوِي، والمعلم علي ثاني فُلاَتَنْ، وغيرهم ممن لم يسع المقام لذكر أسمائهم.

ويشكر جميع أفراد أسرته، يخص منهم بالذكر زوجته السيدة زينب آدم وجميع أبنائه يخص منهم بالذكر آمنة عبد القادر.

وكذلك يشكر الباحث كل من ساهم في هذا البحث ولو بشطر كلمة أو ساعد في اكتماله مساعدة مادية أو معنوية يسأل الله سبحانه وتعالى أن يجازي الجميع الجزاء الأوفى.

الطالب:

عبد القادر ثاني سليمان

توقيع:.....

الفهرس

الموضوع ***الصفحة***

توقيع الممتحنين..... أ
الإقرار..... ب
الإهداء..... ج
كلمة الشكر والتقدير.....د
الفهرس..... و
المقدمة..... 1
أسباب اختيار الموضوع..... 1

أهمية البحث..... 2
أهداف البحث..... 2
حدود البحث..... 3
إشكالية البحث..... 3
منهج البحث 3
مراجعة الدراسات السابقة..... 3
الفصل الثاني: نبذة تاريخية عن الشاعر وبيئته وشاعريته
9
المبحث الأول : نسبه وحياته 9
المبحث الثاني : بيئته الاجتماعية والسياسية
15
المبحث الثالث: شاعريته
22

الفصل الثالث: الدراسة النظرية للقيم الفنية
40
المبحث الأول: مفهوم الدراسة الفنية
40
المبحث الثاني: الدراسة النظرية للأغراض الشعرية
40
المبحث الثالث: الدراسة النظرية للقيم الفنية
61
الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية في القصائد
63
المبحث الأول: تجربة الشيخ خليل طَنْدُمي الشعرية
63

المبحث الثاني: الموسيقى الخارجية والداخلية في القصيدة 93
المبحث الثالث: القيم الفنية 104
الخاتمة 129
النتائج 130
التوصيات 131
المصادر والمراجع 132

الفصل الأول
المقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين الطيبين، وأصحابه الهادين، ومن اقتدى بهديه إلى يوم الدين.

أسباب اختيار الموضوع:

اختار الباحث هذا الموضوع لما يلي:-

- رغبة الباحث في الأدب وفنونه، وذلك لما للأدب من أهمية بين سائر العلوم، ولكونه مرآة تنعكس فيها صور حياة الأمم.
- إعجاب الباحث بالشاعر وانتاجاته القيمة التي تدل على اتصافه بالعلم وحدة الذكاء.
- رغبة الباحث الشديد في مطالعة أدب علمائنا النيجيريين بصفة عامة والكشناويين بصفة خاصة، بغية تذوق ما فيها من المحاسن الفنية.
- محاولة الاسهام في إخراج ما في الخزائن من الكتب العربية والدواوين الشعرية ونفض ما تراكم عليها من غبار إلى الطلاب الدارسين.
- فنية الشاعر وإجادته لفنون المدح والرثاء والترحيب في أشعاره وما تبع ذلك من فنون الجودة.
- روائع أشعار المدح والرثاء والترحيب التي اشتملت عليها القصائد.

أهمية البحث:

إن لهذه الدراسة الأدبية أهمية كبيرة، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:-

- معرفة ما للشعراء من إسهامات في حقل الأدب العربي ومجالات اللغة العربية.
- فتح الأبواب للدارسين والباحثين ليطلعوا على ما في القصائد من الجمال الفني.
- مساعدة البحث في حفظ انتاجات العلماء النيجيريين من الضياع والهلاك.
- ما يقوم به البحث من تحليل قصائد الشاعر وإبراز ما فيها من الجودة الفنية.

أهداف البحث:

يرمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:-

- التعريف بالشاعر وقصائده.
- إظهار الخصائص الفنية في القصائد.
- الوقوف على شعور الشاعر ووجدانه على ضوء دراسة الخصائص الفنية الموجودة في القصائد.

حدود البحث:

كانت حدود هذا البحث منحصرة على دراسة الخصائص الفنية الواردة في القصائد وتحليلها فنيًا وأدبيًا، ويبلغ عدد القصائد ست عشرة قصيدة، في خمسمائة وسبعة وثلاثين بيتا في الترحيب، والمدح، والرثاء.

- **إشكالية البحث:**

يجيب البحث في صفحاته عن التساؤلات الآتية:-

- من الشاعر وما قصائده؟
- ما الأغراض التي طرقها الشاعر؟
- ما الخصائص الفنية الكامنة في قصائد الشاعر؟
- هل زادت هذه الخصائص شيئا للقصائد جمالاً وروعة؟

منهج البحث:

إن طبيعة هذا البحث تلزم الباحث أن يتبع المنهج الوصفي الاستقرائي، حيث يقوم بوصف أبيات القصائد وصفا يبرز جمالها، ويستقرئ الأبيات دراسة وتحليلاً يستخرج ما فيها من الخصائص الفنية بغية الوصول إلى ما فيها من الجمال الفني.

مراجعة الدراسات السابقة:

تتبع الباحث بعض البحوث والرسائل الأكاديمية بغية الحصول على بحوث تمت بحثه بصلة فحصل على البحوث الآتية:-

- عبد العزيز أحمد ماشي، عام 2005م، "فن الرثاء في ولاية كتسنا، نيجيريا 1970 – 2005م دراسة تحليلية"، بحث

قدمه إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، درس فيه فن الرثاء في ولاية كتسنا، وتناول في دراسته بعض قصائد الشاعر في فن الرثاء دراسة أدبية، منوها ببعض ما فيها من الصور البيانية من بينها بعض قصائد الشيخ خليل طندمي التي قالها في فن الرثاء. يتفق البحثان في كونهما دراسة أدبية، ويختلفان في كون بحث عبد العزيز أحمد ماشي درس الشيخ خليل ضمن الشعراء الرثائيين في ولاية كتسنا وكانت دراسة هذا البحث جميعها عن الشاعر وفي جميع فنون شعره.

- محمد المجتبى عبد الله، عام 2006م، "النشاطات الأدبية في محلية طَنْدُمي،

عرض وتعليق"، بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو،

للحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية، درس فيه الباحث الحركات الأدبية وعوامل ازدهارها في طَنْدُومي وعالج بعض القصائد التي أنتجها علماء البلدة ومن بينهم الشيخ خليل طندمي، وانتهى الباحث في تناوله بعض قصائده بالشرح والتعليق. يتفق البحثان في كون كل منهما دراسة أدبية، وفي بيئة واحد ويختلفان في كون بحث محمد المجتبى عبد الله دراسة عن علماء "طَنْدُمي" وهذا البحث يخص الشيخ خليل بالدراسة.

- محمد صغير آدم دبي، بعنوان: "ملامح تطور الشعر العربي في ولاية كتسنا

عرض ودراسة لقصائد علماء كتسنا خلال: 1408 - 1430هـ، 1987 – 2009م"، بحث قدمه الطالب إلى قسم اللغة العربية بجامعة أحمد بلو زاريا، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية عام: 2009م، تكلم الباحث عن

الشعر والشعراء في ولاية كتسنا وكان من بينهم الشيخ خليل "طَنْدُمي". يتفق البحثان في كون بحث محمد صغير آدم دبي تناول بعضًا من قصائد الشاعر، ويختلفان في كون بحث محمد صغير آدم تكلم عن الشيخ ضمن شعراء الولاية، وهذا البحث يتكلم عنه ويخصه بالدراسة.

- عثمان جاري كرفي، عام 2010م، "مدرسة أنصار دين الإسلام للشيخ

إبراهيم الخليل "طَنْدُمي" وأثرها في تطوير الثقافة العربية"، بحث قدمه الطالب إلى قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يَرْأَدُوَا، للحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، تضمن البحث إسهامات هذه المدرسة في تطور العلوم الإسلامية والعربية، كما أشار الباحث فيه إلى المجهودات التي قام بها الشيخ خليل طَنْدُمي في رفع اللغة العربية وثقافتها في بلدة "طَنْدُمي"، وفي ولاية كتسنا، ونيجيريا بصورة عامة، وانتهى الباحث في الحديث عن ذكر اسهامات هذه المدرسة والمجهودات التي قام بها الشيخ خليل طندمي تلاميذه وبعض أولاده. يتفق البحثان في كون كل منهما يدرس الشيخ خليل "طَنْدُمي" ويختلفان في كون بحث عثمان جاري كرفي يتكلم عن مدرسة الشيخ خليل وأثرها في تطوير الثقافة العربية وعن المجهودات التي قام بها الشيخ في رفع اللغة العربية، وهذا البحث يميل إلى إنتاجاته الأدبية.

- عبد العزيز أحمد ماشي، عام 2010م، "الفصل والوصل في قصائد علماء ولاية كتسنا خلال القرن العشرين الميلادي، دراسة تحليلية بلاغية لنماذج مختارة من قصائد علماء ولاية كتسنا"، رسالة جامعية قدمها الطالب إلى كلية اللغة العربية في قسم الدراسات العليا بجامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان للحصول على درجة

الدكتوراه في اللغة العربية (في البلاغة والنقد)، درس الباحث مواضع الفصل والوصل في قصائد علماء كتسنا، ومن بينهم الشيخ خليل "طَنْدُمي"، أورد الباحث بعض قصائد الشيخ وعالج فيها الصور البلاغية مشيراً إلى مظاهر الفصل والوصل فيها، يتفق البحثان في كون كل منهما دراسة عن الشيخ خليل "طَنْدُمي". ويختلفان في كون بحث عبد العزيز أحمد ماشي درس الشيخ خليل ضمن شعراء ولاية كتسنا حيث خصه بحثه بالدراسة البلاغية، وهذا البحث دراسة أدبية.

- عمر عيسى مَانِ (Mani)، وعنوان رسالته: "الصور البيانية في شعر الشيخ خليل بن حامد "طَنْدُمي"، دراسة تحليلية بلاغية"، بحث قدمه الطالب إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية عام: 2012م، تناول الباحث بعض قصائد الشيخ خليل "طَنْدُمي" بدراسة تحليلية بلاغية، تناول الباحث علم البيان بالدراسة حيث تكلم عن التشبيهات والاستعارات والمجاز والكناية. يتفق البحثان في كونهما دراسة عن شاعر واحد وهو الشيخ خليل "طَنْدُمي"، غير أن بحث عمر عيسى مان، "الصور البيانية في شعر الشيخ خليل "طَنْدُمي" دراسة تحليلية بلاغية"، تكلم عن التشبيهات والاستعارات والمجاز والكناية، ويتناول هذا البحث بعض هذه الظواهر لعلاقتها بالأدب، ثم جاوزها إلى بعض الصور المعنوية والبديعية كما تقدم. ويختلفان في كون بحث عمر عيسى مان دراسة بلاغية وكون هذا البحث دراسة أدبية.

الفصل الثاني: التعريف بالشاعر

المبحث الأول: بيئة الشاعر:

والبيئة هي الحالة[1]، أي الحالة الاجتماعية التي وجد الشاعر نفسه فيها وتعامل معها وجرت فيها حياته.

ومركز هذه البيئة بلدة طندمي ([andume]) وسبب تسميتها بهذا الاسم هو أن مؤسسها كان يزرع بذور (دُمَا) فينبت الزرع ويثمر، فجعل الناس يسمون المكان باسم هذا الزرع ويقولون (طَنْدُمَا)، ثم تحول إلى (طندمي) فأثرت اللغة الفلانية في الاسم لأن الذي أسس البلد كان فلانيا والفلانيون حينذاك لا يحسنون قول (طندما) فيقولون: (طندمي) فثبت الاسم هكذا بالإمالة.

وكانت تقع ضفة نهر يسمى رَافِنْ كُدُو (Rafin Kudu)، فلما وصلت إليه القبيلة الفلانية أعجبها المكان بروضته وخصيلته وكثرة مائه فسكنته وأصبح مجتمعا للقبائل الفلانية وغيرها.

---

[1] - الفيروز أبادي، محي الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، الجزء الأول، ص: 9.

وكان رئيس القبيلة الفلانية التي سكنت المكان من أول وهلة والذي نسب إليه تأسيس البلدة يدعى ثِرُومَا تُرْمِي (Ciroma Turmi) لأنه كان راعيا ونحاتا يصنع المماريس، وكان لطندمي منذ تأسيسها إلى اليوم نحو مائة وسبعين سنة تقريبا، وذلك في حوالي سنة: 1845م.[1]

وتقع طَنْدُمي ([andume]) جغرافيا في جنوب ولاية كشنا وتزيد مساحتها طولا وعرضا على مائتي كيلو متر، تحدها أربع حكومات محلية، وهي حكومة فُنْتُوا المحلية (Funtua) الواقعة في الناحية الشرقية منها، وسَابُوَا (Sabuwa) في الناحية الغربية، وفسكري في الناحية الشمالية منها، وتحدها جنوبا محافظة غِيوَا (Giwa) الواقعة في ولاية كدونا (Kaduna).

وأرضها خصبة ذات أشجار وأنهار، كثيرة العشب والمرعى، صالحة لزراعة معظم البذور في شمال نيجيريا، وخصوصا الذرة والأرز وقصب السكر. وكذلك الخضروات مثل الطماطم والجزر والبطيخ وغيرها.

وكان لبلاد طندمي ([andume])[2] مناخ معتدل، وجوّ جميل، ترتفع فيها درجة الحرارة فيما بين شهري مارس ويونيو حين تهطل الأمطار، ويكون البرد فيها قارسا فيما بين شهري ديسمبر وفبراير.

وتنزل فيها أمطار غزيرة في فصل الخريف حين يشتغل الفلاحون بالأعمال الزراعية، وذلك من شهر أبريل إلى أكتوبر.

أما سكانها فعددهم يزيد على ثلاثة وسبعين ألف نسمة. ومعظمهم من قبيلتي الهوسا والفلاني، والهوساويون يشتغلون بالزراعة، والتجارة، الأمر الذي جعل سوق طندمي ([andume]) كبيرة الأثر بين سائر الأسواق الواقعة في المنطقة، وذلك لما

---

[1] - مقابلة شفهية مع المعلم محمود خليل في اليوم الثلاثاء التاسع عشر يناير 2016م، في بيته وفي تمام الساعة الحادية عشر صباحا.

[2] - Naziru Mahe [alhatu, [andume Hular Kwano, Gidan Dabino Publishers, No. 570, Sabon Titi [andago, P.O. Box: 1597, Jakara, Kano, Shafi na (7) Bakwai.

يجمع فيها من صنوف المحصولات التي يصدرها السكان والتي تنقسم عادة إلى قسمين، هما:-

1-المحصولات الغذائية، مثل الذرة، والأرز، والدخن وغيرها.

2-المحصولات النقدية، مثل القطن، وفول الصويا، والبصل، والعدس وغيرها مما يزرع لنيل الأموال لا للتغذية.

ويشتغل أهل طندمي كذلك ببعض الحرف والصناعات في البلاد، مثل الحياكة، والحدادة، والحلاقة، والصباغة وغيرها من الصناعات التي توارثها الشعب كابرا عن كابر وتعتمد عليها معيشتهم وحياتهم اليومية.

أما الشعب الفلاني فكان مشتغلا بالرعي والزراعة يرعون الأبقار والمواشي التي يبيعون من ألبانها ويشترون بثمنها بعض ما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة، وكانت محصولاتهم لا تختلف عن محصولات الشعب الهوساوي.

وكثرة المحصولات والصادرات الزراعية في طندمي (andume[]) من الأمور التي جذبت انتباه التجار، ومن الولايات المجاورة القريبة منها والبعيدة حتى من ولاية لاغوس (Lagos) في أن يأتوا إلى طندمي (andume[]) لنقل البضائع التجارية إلى بلادهم. الأمر الذي جعل مستوردات الولايات الجنوبية، مثل البرتقال والموز وغيرهما متكاثرة جداً في سوق طندمي (andume[]).[1]

هذا التبادل في السلع التجارية من الأسباب التي أدت إلى اختلاط السكان الأصليين من قبيلتي الهوسا والفلاني بالقبائل الأخرى مثل: يُورُوبَا (Yoroba)، وإِيبُو (Ibo)، ونوفي (Nufe) وغيرها من القبائل التي دخلتها وسكنتها.

[1] - مقابلة شفهية مع الحاج عبدن تكنو، يوم الأربعاء 19 من مارس، 2016م، في بيته في الساعة العاشرة صباحا.

وكانت هذه القبائل تشتغل بالتجارة أكثر، وبعض الصناعات، وهؤلاء يأتون من الولايات الجنوبية والغربية في نيجيريا، مما يبيعونه الخشب والزيت والمكنسة والفواكه والأطعمة المنقولة من بلادهم إلى شمال نيجيريا.

فلا تجد منهم من يشتغل بالزراعة والرعي إلا أفرادا قلائل، لكن معظمهم لا يفهمون للزراعة معنى ولا يبالون بها، هذا من الناحية الاقتصادية.

وأما البيئة السياسية فكانت الأوامر والنواهي تصدر عادة من جانبين، هما:

1-الأمراء التقليديون. 2- الحكام الديمقراطيون.

الإمارة التقليدية:

يعني الباحث بالإمارة التقليدية الحكومات القائمة على أساس التوارث حيث كان الأبناء والإخوة الصغار يرثون الآباء والإخوة الكبار، والتي تعرف في لغة هوسا بـ (Sarautar Gargajiya). وكان من شأنها أن تسبق الحكم الديمقراطي والعسكري على البلدة، وذلك لأن الأمراء التقليديين ينتسبون إلى الشيخ عثمان بن فودي الذي سبق حكمه الحكم الديمقراطي والعسكري في الناحية الشمالية.

فالذين بدأوا بتولية الإمارة في طندمي ([andume]) هم مؤسسوها الأوائل، ويرجع الفضل في تأسيسها إلى الشخصيات الآتية:-

1-ثِرُومَا مَيْ ثُرْمِي	1- Chiroma Mai Turmi
2-ثِرُومَا مَيْ رَنْغُوطَا	2- Chiroma Mai Rangwa]a
3-كَدُو بَفِلاَّثِي	3- Kado Bafillace
4-جَوْرُو مَهَرْبِي	4- Jauro Maharbi
5-تِنْكِي مَهَرْبِي	5- Tunke Maharbi
6-أُبَا بَابَارُو سَرْكِنْ هَظِي	6- Uba Babaro Sarkin Hatsi
7-نَمَيْوَدَا	7- Na Maiwada

8-مَغَاجِي لاَيي 8- Magaji Laye

9-مَغَاجِي موسى 9- Magaji Musa

10- مَيْ سَاجي 10- Mai Saje

11- سَمْبُنْ بَرْكَنْ 11- Sambon Barkan

هؤلاء هم المؤسسون الأوائل لبلد طندمي ([andume]) ثم أصبحت إمارتها تنتقل من شخص إلى آخر، ويكون ترتيب أسماء أمرائها على النحو التالي:-

1-ثِرُومَا مَيْ تَرْمِي 1- Chiroma Mai Turmi

2-مَيْغَرِي شيخُو 2- Maigari Shehu

3- نَمَالي 3- Namale

4- عبد القادر مَيْغَرِي 4- Abdul}adir Maigari

5- مَالَمْ سَمْبُو 5- Malam Sambo

6- مَالَمْ صَالِحُ 6- Malam Sale

7- غَلاَدِيمَا إِرُو 7- Galadima Iro

ظلت هذه الإمارة متداولة بين أبناء الأمراء وأحفادهم حتى غدت أخيرًا في يد الحاج جعفر إبراهيم (كَاتُكَنْ كَشِنَا) (Katukan Katsina) وما تزال إلى الآن، ولمجلسه ثلاثة عشر عضوا، وهم:-

1-الحاج إبراهيم جعفر إبراهيم (Galadima)

2-الحاج عَبْدُنْ تَنكُو (Garkuwa)

3-الحاج ثَانِي نَمَالَمْ ([anmadami)

4-الحاج لَوَّاتِي (Maji da]i)

5-الحاج إسماعيل ([an masani)

6-الحاج عبد الرشيد رَبُو (Barde)

7-الحاج سَنُوسِي (Zango)

8-طَنْ مَمَّنْ (Wambai)

9-الحاج محمد (Turaki)

10- الحَاجِ طَنْ بَابَا (Sarkin Fada)

11- الحاج بَلاَ دَرْدَاءُ ([an iya)
12- الحاج مَغَاجِي مَيْ كِيرُو ([an maliki)
13- الحاج لَوَلْ (Marafa)

من أشهر الملوك تحت الإمارة التقليدية:

ينبغي للباحث أن يأتي بسيرة موجزة وملخصة لبعض ملوك طندمي على النحو التالي:-

1-غَلاَدِيمَا إِرُو:

ولد الحاج إبراهيم سمبو (Sambo) في بلد مسكا (Maska) سنة ألف، تسعمائة وعشرين (1920م)، بدأ دراسته الابتدائية في (Elementary) بنداوا (Bindawa)، ومن ثم التحق بالإعدادية الوسطى (Middle School) في كتسنا وانتهى منها في سنة ألف وتسعمائة وثلاثين (1930م).

انتقل إلى رحمة الله وخلف بعده زوجات وستة أبناء، شهد له بالصبر والصدق والأمانة والتواضع[1].

2-الحاج جعفر[2]:

هو الحاج جعفر بن إبراهيم كَاتُكَنْ كَشِنَا (Katukan Katsina)، ولد في بلد فنتوا، سنة ألف، وتسعمائة وخمسين، حصل على الشهادة الابتدائية والثانوية في فنتوا ثم التحق بمعهد الإدارة (Institute of Administration) جامعة أحمد بلو زاريا، وبعد إتمام دراسته هذه وُظّف في مكتب الوالي، ثم في وزارة الزراعة (Ministry of Agriculture)، خلف بعده أربع زوجات وأولادا كثيرين.

أما الحكم الديقراطي فيبدأ عصره الذهبي بانفصال طندمي ([andume) عن فنتو (Funtua) في شهر ديسمبر من عام (1996م)، ولها إحدى عشرة حكومة محلية مقاطعة انتخابية، وهي:-

1-طَنْدُمِي (أ) 1. [andume (A)
2-طَنْدُمِي (ب) 2. [andume (B)

1- Naziru Mahe [alhatu, [andume Hular Kwano, Gidan Dabino Publishers, No. 570, Sabon Titi [andago, P.O. Box: 1597, Jakara, Kano, Shafi na (31)
2- Naziru Mahe [alhatu, [andume Hular Kwano, Gidan Dabino Publishers, No. 570, Sabon Titi [andago, P.O. Box: 1597, Jakara, Kano, Shafi na (32).

3-طَنْ تَنكَرِي (أ) 3. [antankari (A)

4-طَنْ تَنكَرِي (ب) 4. [antankari (B)

5-مَهُوتَا (أ) 5. Mahuta (A)

6-مَهُوتَا (ب) 6. Mahuta (B)

7-مَهُوتَا (ج) 7. Mahuta (C)

8-مَغَاجِي وَنْدُو (أ) 8. Magaji Wando (A)

9-مَغَاجِي وَنْدُو (ب) 9. Magaji Wando (B)

10- تُمْبُرْكَيْ (أ) 10. Tumburkai (A)

11- تُمْبُرْكَيْ (ب) 11. Tumburkai (B)

يختار أعضاء المجلس التنفيذي الحكومي من هذه المحليات الحادية عشر حيث تنتخب كل مقاطعة وكيلا واحدا.

أما الذين حكموا في طندمي منذ انفصالها عن فنتوا (Funtua) فهم[1]:-

1-الحاج أحمد (أ) طَنْدُمي [andume] 1. Alh. Ahmad (A)

2-الحاج خليل (ت) غِلِيمَا من سنة 1996 – 1997م 2. Alh. Halilu (T) Gilima

3-الحاج أَبَاشي (س) وَنْبَي 3. Alh. Abashe (S) Wambai من سنة 1998 – 1998م.

4-الحاج عبد العزيز تجاني 4. Alh. Abdulaziz Tijjani من سنة 1999 – 2002م.

5-الحاج إبراهيم طَنْ مُومِنِ 5. Alh. Ibrahim Danmumini من سنة 2002 – 2003م

6-الحاج عيسى (أ) مَهُوتَا 6. Alh. Isa (A) Mahuta من سنة 2003 – 2003م

[1] - مقابلة شفهية مع عبد الله بابن يايا بتاريخ الأربعاء 2016/03/19م بمقر حكومة المحلية طندمي في الساعة الثانية عشر والنصف صباحا.

7-الحاج أحمد طَنْدُمي 7. Alh. Ahmad [andume من سنة 2003 – 2003

8-الحاج عبد العزيز تِجَّانِي 8. Alh. Abdulaziz Tijjani من سنة 2003 – 2004م.

9-الحاج عبد القادر محمد 9. Alh. Abdulkadir Muhammad من سنة 2004 – 2005م.

10- الحاج عبد العزيز تِجَّانِي 10. Alh. Abdulaziz Tijjani من سنة 2005 – 2007م.

11- عبد المطلب سليمان 11. Abdulmutallib Sulaiman من سنة 2007 – 2008م.

12- عبد القادر محمد 12. Abdulkadir Muhammad من سنة 2008 – 2014م.

13- الحاج يَاءُ أحمد نُووَا Alh. Ya'u Ahmad Nowa من سنة 2014 – 2015م.

هؤلاء هم الذين حكموا طندمي بين حين وآخر ولعبوا أدوارا مهمة في تقدم المنطقة في نواح مختلفة.

بعض الشخصيات البارزة في سياسة طندمي:

هناك أشخاص اشتهروا في سياسة طندمي ([andume]) كشهرة الشمس في كبد السماء، يرى الباحث أنه من الأليق سرد سيرهم وهم كما يلي:-

1-سَمْبُنْ بَرْكَنْ[1] Sambon Barkan

هو سَمْبُو بن إلياس وبَرْكَنْ (Barkan) اسم للبلدة التي نشأ فيها، أما والده فإلياس بلاربي (Balarabe) كان فارسا شجاعا في جيش أمير كنتغورا (Kwantagora) مي سودان (Mai Sudan) فجاء المستعمرون بإلياس أيام الاستعمار البريطاني إلى أرض مسكا (Maska) وسمبو آنذاك لم يجاوز السنة الثالثة من عمره، وجرح أبوه في معركة

[1]- Naziru Mahe [alhatu, [andume Hular Kwano, Gidan Dabino Publishers, No. 570, Sabon Titi [andago, P.O. Box: 1597, Jakara, Kano, Shafi na (9-12).

كانت بينهم وبين الإنجليز بجرح في فخذه، وتوفي في بلد قَيَا (aya{).

اشتهر سمبن بركن (Sambon Barkan) بالصدق والصبر والأمانة والعدل، وكان يحارب ظلم الحكام واستبدادهم بكل ما لديه من قوة، الأمر الذي أحدث بينه وبين سمبن مسكا (Sambon Maska) خصومة شديدة في حزبين سياسيين كبيرين، هما: (NEPU) و (NPC) حيث كان سمبن بركن في حزب (NEPU) وأمير مسكا (Maska) سمبو (Sambo) في حزب (NPC).

توفي سمبن بركن (Sambon Barkan) سنة ألف وتسعمائة وتسع وسبعين ميلادية (1979م)، وخلف بعده ثلاث أزواج وستة أبناء.

2-الحاج ثَالِثُ موسَى[1]

ولد الحاج ثالث موسى في قرية تسمى هين كورو (Hayin Korau)، وكان أبوه الحاج موسى صياداً، اشتهر بحرفة الصيد حتى تولى مقامه وسمي سركن بكا (Sarkin Baka). أما ابنه الحاج ثالث فلم يدخل كثيرا في الثقافة الغربية، وقد انتخب وكيلا في مجلس الوكلاء النيجيري وهو يحمل شهادة محو الأمية (Ya}i da Jahilci) وجد الانتخاب تحت حزب (GNPP) الذي يرأسه الحاج وزير إبراهيم. اشتهر ثالث موسى بالصدق والأمانة، هجم عليه مجنون بالسكين فقتله، وهو في العقد الخامس من عمره.

3-الحاج عبد العزيز تجاني:

ولد عبد العزيز تجاني في بلد طندمي ([andume) في شهر مارس سنة ألف وتسعمائة وستين ميلادية (1960م). ذهب به عمه إلى كَنُو وهو صغير حيث بدأ الدراسة الابتدائية، وتخرج في سنة 1979م، فواصل الدراسة إلى الثانوية وتخرج في سنة 1979م، ووجد القبول في مدرسة أخرى تسمى الكلية التقنية (Bagauda Technical College) في كَنُو وتخرج منها سنة 1982م.

[1] - Naziru Mahe [alhatu, [andume Hular Kwano, Gidan Dabino Publishers, No. 570, Sabon Titi [andago, P.O. Box: 1597, Jakara, Kano, Shafi na (24)

وقد اعتلى عبد العزيز تجاني مناصب سياسية مختلفة في طندمي (andume]) وفنتوا (Funtua) والوكالة الفدرالية، عرف عبد العزيز بالأمانة والعدل ومساعدة الضعفاء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة.

المبحث الثاني: نسبه وحياته:

نسبه:[1]

هو الفقيه العلامة العارف بالله، والتقى الزاهد الشيخ إبراهيم الخليل بن حامد طندمي الكشناوي النيجيري، والده صاحب السمو الملكي حامد طن غلاديما (angaladima]) ابن الأمير صالح، وأمه السيدة آمنة بنت علي قورا (Kaura).

ولادته:

ولد الشيخ خليل بن حامد طندمي (andume]) يوم الاثنين سنة 1353ه الموافق 1933م بمكان يسمى غمج (Gamji) في قرية أنغور مالمي (Unguwar Malamai) الواقعة الآن تحت حكومة محلية سابوا (Sabuwa) المحلية في ولاية كشنا، وكان الشيخ خليل من سلالة إمارة رافن إيوا (Rafin Iwa) وهي بلدة تابعة لحكومة سابوا محلية (Sabuwa)، والآن تفرعت هذه الإمارة إلى بلاد مختلفة منها: غمج (Gamji)، وكرمن مبوشي (Kurmin Mabushi)، وما زالت أسرة الشيخ خليل هي المالكة في هذه البلدة.

نشأ الشيخ خليل ضريرا لأنه فقد بصره في وقت مبكر من حياته وهو وقت الفطام كما أشار إلى ذلك في قصيدته التي مدح بها السيد علي سيسي وقال:

عَلَى الْقَدْرِ جَاءَ ذوا ابْتِغَاء * عَدِيمَ ٱلْبَصْرِ مِنْ زَمَنِ ٱلْفِطَامِ

فقد الشيخ خليل بصره فلم ير من الألوان شيئا ولا يعرف أسماءها، ولا يدرك بالنظر، وهذا جعل والدته في قلق شديد،

[1] - مقابلة شفهية مع الشيخ خليل طندمي في زاويته يوم الثلاثاء 2013/12/17م وذلك في الساعة الحادية عشر صباحا.

وجعلت تقول حزنا: "الموت هذا الولد أحب إلي من حياته" ويقول لها زوجها: "رويدك فاصبري فإن الله قادر على أن يجعل هذا الولد عونا على إخوانه وظلا ظليلا ولا ندري ما أودعه الله من الخير في المستقبل".

وقد عوضه الله عن بصره ذكاءًا حادا، وكان منذ صغره لا يستعمل عصا في مشيه ولا قائد له، ومع ذلك كان يتجول كما يشاء ويلعب مع الصبيان كما يريد، ولما أرسل إلى المدرسة للتعليم لم يمنعه ضرره أن يقوم بالخدمات التي يقوم بها طلبة العلم لعلمائهم، فكان يخدم أستاذه بجميع الأعمال التي يقوم بها المبصرون من جذب المياه من الآبار، واختلاع الحشائش، وجمع أوراق الأشجار علفا للدواب، ومن أعجب العجائب أنه كان يأخذ حبله وفأسه ويذهب إلى الغابة ويحتطب، يعمل أعمالا أخرى غير هذه وأصعب مما يعمله المبصرون.

ومن عجائبه أيضا أنه لأستاذه فرسا صعب المراس لا يستطيع بقية التلاميذ ترويضها فكان الشيخ خليل رغم كونه ضريرا هو التلميذ الوحيد الذي له الإمكانية ليتولى أمرها ويتحمل مؤونها حيث قضى عشر سنوات يعاني متاعبها، وكان دائما يسرجها ويمسكها ليركبها الأستاذ، وهو الموكل لتنظيف مربوطها وعلفها ولذلك كانت أليفة جدا، وحدث أنها أنجبت قلوا فدنا منها ربها فهجمت عليه ولم يقدر على انجائه منها أحد سوى الشيخ خليل التلميذ الضرير.

وحدث أن كان الشيخ خليل مع رفقائه في سفر فصادفوا في طريقهم نهرا فرفضت الفرس أن تخوض في النهر وأبت، فضربوها وبالغوا في ضربها وكانوا يجذبون لجامها بكل شدة فقال لهم الشيخ خليل مهلا فأخذها وقادها في الماء فأطاعته حتى جاوزوا النهر.

وهكذا بذل الشيخ خليل قصارى جهده في خدمة أستاذه مع كونه ضريرا حتى حصل على علوم جمة.

كانت حياة الشيخ حياة علمية وتعليمية، حيث بدأ تعليمه بقراءة القرآن الكريم، وحفظ بعض الأشعار عند أستاذه المعلم محمد الثاني مَجِي دَاطِنْ مَكَافِنْ زَزَّوْ (Maji da]in makafin Zazzau) الذي يسكن في بلد كلغ (Kalga) التابعة لحكومة سابو (Sabuwa) المحلية، اشتهر هذا المعلم بتربية المكفوفين وتعليمهم، كان يعلمهم قراءة القرآن الكريم وبعض الأشعار التي يتكففون بإنشادها ويتسولون، فالتحق الشيخ خليل بهذا العالم بأمر من أبيه إذ أمر أخاه الكبير عبد القادر طن فلاني ([anfulani]) بأن يذهب به إلى هذا الأستاذ الضرير ليتلقى العلوم.

وبالإضافة إلى ما حفظ الشيخ خليل من القرآن فقد حفظ كثيرا من الأشعار ككتاب إنفراج (Infiraji) للمعلم علي نمنغي (Namangi) زاريا (Zaria) المنظوم بلغة هوسا، وكتاب تخميس الوسائل المتقبلة للإمام أبي بكر بن محمد المهيب رحمه الله تعالى، وبما رزق الله الشيخ خليل سرعة الإدراك وقوة التفكير حفظ العشرينيات برمتها في أقصر مدة ممكنة، بخلاف سائر الطلاب، وخير شاهد على حدة ذكائه قول أستاذه له، يا خليل إني أرى أن خطوتك أمد وأسرع من خطوتي، ولذلك أستحسن أن أرسلك إلى من هو أعلم مني، فأرسله إلى الأستاذ عبد القادر فأخذ عنه كتاب مصلحة الأعمال، وكتاب قواعد الصلاة، وكتاب الأخضري للشيخ عبد الرحمن، وكل ذلك في وقت وجيز.

ولما رأى أستاذه هذا قوة ذكائه أرسله أيضا إلى وفد من العلماء جاءوا إلى كلغ (Kalgi) من مدينة زاريا (Zaria)، وكانوا يأتون إليها للزراعة، فأخذ عنهم علوما كثيرة. ثم سافر إلى مدينة زاريا (Zaria) وتلقى العلم من بعض كبار علمائها مثل الشيخ جبريل نَإِيَ (Naiya) فدرس عنده كتاب العشماوي، وكتاب مقدمة العزية، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وإرشاد السالك وغيرها من الكتب الفقهية. ومن كتب اللغة درس عنده كتاب أبي عبد الله المالكي، عبد الله شمس الدين محمد المعروف

بـ"بدماصي"، وكتاب البردة للبوصيري أو كتاب مقامات الحرير، ومختار الشعر الجاهلي وغيرها. وأما الكتب النحوية فلم يقرأ في ذلك الوقت إلا الآجرومية.

لقاؤه بكبار الصوفية:[1]

لقي الشاعر كبار الشيوخ الصوفية الموجودين، بدءا بمعلمه الشيخ عبد الله طندمي والشيخ أبي بكر سِرِنْبَيْ والشيخ علي سيس والشيخ محمد السنوسي أمير كنو (Kano) والشيخ أحمد التجاني ابن الشيخ إبراهيم إنياس، وقام برحلة خاصة للقاء بالشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله إنياس الكولخي السنغالي صاحب الفيضة التجانية.

ولقي غير هؤلاء، كثيرا من السادات والشيوخ الصوفيين، وأثر ذلك فيه وظهر في أشعاره حيث قال الشعر في مدح كثير منهم وترحاب لبعضهم ورثاء لآخرين.

يقول مثلا في الترحاب بالشيخ علي سيس رحمة الله عليه:

مَعَاشِرَ دِينِ الْمُصْطَفَى وَالطَّرِيقَةِ * أَتَانَا لِسَانَ الْفَيْضَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ

هَنِيـــــــئًا لَـــــــــــنَا فَالْخَيْرِ أَمَّ وَعَمَّنَا * بِإِتْيَانِهِ ذَا الْعَامُ عَامُ الْمَسَـــــــرَّةِ

فَأَهْلاً بِهِ إِذْ جَاءَ نُورًا بِهِ الدُّجَى * يَزُولُ وَبَحْرًا لِلْعَطَايَا الْجَزِيلَـــــــةِ

فَأَهْلاً بِمَنْ تُرْوَى بِهِ الْهِيمُ خَيْرَ مَنْ * أَتَى وَلَنَا فِي وَصْلِهِ كُلُّ رَغْبَةٍ

فَأَهْلاً وَسَهْلاً مَرْحَبًا ثُمَّ مَرْحَبًـــــا * بِسُلْطَانِ خُدَّامٍ لِغَوْثِ الْبَرِيَّةِ

وَأَعْنِيكَ مَن لَّمْ يَرْضَ قَلْبِي بِغَيْرِهِ * نَزِيلاً وَمَنْ تَذْكَارُهُ رَوْضُ جَنَّةٍ

[1] - مقابلة شفهية مع الشيخ خليل طندمي في زاويته يوم الثلاثاء 2013/12/17م وذلك في الساعة الحادية عشر صباحا.

وَأَعْنِيكَ يَا بَابَ ٱلْوُصُولِ لِغَوْثِنَا * وَخَيْرَ قَرِيبٍ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ

وَأَعْنِيكَ يَا مَوْلاَيَ سِيسِ عَلِيُّ مَنْ * حَبَاهُ إِلَهُ النَّاسِ كُلَّ ٱلْفَضِيلَةِ

أَتَيْتَ لَـــنَا وَٱلْحَمْدُ للهِ نَائِبًـــــــــــــــــا * عَنِ الشَّيْخِ فِي تَفْرِيجِ هَمِّ ٱلأَحِبَّةِ

أَنَيْجِيرِيَا فَلْتَحْمَدِي اللهَ وَاشْكُرِي * أَتَاكِ بُعَيْدِ ٱلْيَأْسِ زَيْنُ ٱلأَئِمَّةِ

وهكذا استمر الشاعر يرحب بقدوم الشيخ علي سيس ويهنئ وطنه نيجيريا بمجيء هذا الشيخ الجليل وقال في مدح أمير كَنُو السابق (Kano) الشيخ محمد السنوسي:

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا مَنْ كُلُّ مَا شَاءَ فَعَلَ * عَلَى مَا وَهَبْتَ ٱلْيَوْمَ مِنْ جِهَّةِ ٱلْفَضْلْ

وَهَبْتَ لَنَا فِي هَذِهِ ٱلأَرْضِ سَيِّـــــدًا * يَرَاهُ مِنَ اخْيَارِ ٱلْوَرَى كُلُّ مَنْ عَقَـــلْ

إِمَامًا خَبِيرًا نَاصِحًا ذَا بَصِيـــــــــــــرةٍ * مُبَارَكُ أَفْعَالٍ لَدَى مَنْ عَلَا وَجَـــــلْ

وَأَعْنِي بِهِ هَذَا الْهُمَامَ الَّذِي بَـــــــدَا * خَلِيفَةَ سِرَّ ٱلْخَتْمِ فِي كُلِّ مَا حَصَـــلْ

محمدنَا ٱلحَاجّ السُّنُوسِي الَّذِي غَدَا * أَمِيرَ كَنُو مِنْ قَبْلِ أَنْ يَطْرَأَ ٱلْخَلَـــــلْ

قَدِ اخْتَارَهُ غَوْثُ ٱلْبَرَايَا خَلِيفَـــــــــةً * لِمَا أَنَّهُ فِي كُلِّ أَوْصَافِهِ كَمُـــــــــــــلْ

فَأَكْرِمْ بِهِ قَرْمًا قَوِيًّا غَشَمْشَـــــــــمًا * وَنَاصِرَ دِينِ ٱلحَقِّ بِالْقَوْلِ وَٱلعَمَـــلْ

لَقَدْ شَهِدَ اللهُ ٱلعَظِيمَ بِأَنَّنَـــــــــــــــا * نُحِبُّكَ حُبًّا صَادِقًا أَيُّهَا ٱلْبَطَـــــــــلْ

وقال في رثاء الشيخ عبد الله يعقوب طندمي:

عَجَبًا لِشَمْسٍ غَيَّبَتْ تَحْتَ الثَّرَى * أَيَّامَ يَنْفَـــــــــــــعُ نُورُهَا كُلَّ الْـــــــــــوَرَى
عَجَبًا لَهَا أَيْضًـــا بُعَيْـــــــــــــدَ مَغِيبِهَا * فِي الْأَرْضِ أَمْسَى الضَّوْءُ مِنْهَا أَظْهَرَا
حَتَّى غَدَا حِسًّا وَمَعْنًى سَامِيًـــــــــــا * فِي الْأُفُقِ مُعْجَبِ كُلِّ مَنْ يَكُ مُبْصِرَا
أَدْرَيْتَهَا يَا صَاحِ أَمْ لاَ إِنَّهَـــــــــــــــــا * شَمْـــــــــسُ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كُنْ مُسْتَبْصِرَا
أَعْنِي بِهِ طِبًّا نَصُوحًا لِلْمَـــــــــــــــلاَ * أَعْنِي بِهِ بَحْرًا تَضَمَّنَ أَبْحُـــــــــــــــــــــــرَا
أَعْنِي وَلِيَّ اللهِ نَاصِرَ دِينِهِ الْـــــــــــــــ * ـهَمَّامَ فَيَّاضَ النَّدَى رَحْبَ الذَّرَى
وَهُوَ الْهُمَامُ الْحَاجّ عَبْدُ اللهِ مَـــــــــنْ * قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْقُلُوبِ مُوَقِّـــــــــــــــرَا
وَهُوَ الَّذِي يَهْدِيكَ نَهْجًا مُوصِلاً * لِفِنَاءِ خَلاَّقِ الْوَرَى رَبِّ الْبَـــــــــــــــرَا
وَهُوَ الَّذِي أَخْلاَقُهُ أَخْلاَقُ طَـــا * هَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ أَفْضَلِ مَنْ سَرَى

وأخذ الطريقة التجانية وهو ابن ثماني عشرة سنة على يد الشيخ عبد الله يعقوب طندمي بإشارة من مريده المعلم بلاربي مَكَاهُو (Balarabe Makaho)، وذلك في حولي سنة ألف وتسعمائة وتسع وثلاثين (1939م)، وأخذ عنه أذكار التربية لما هاجر مع أستاذه المعلم مَجِي دَاطِي (Maji Da]i) من رَافِنْ إِيوَا (Rafin Iwa) إلى طندمي.

رحلاته[1]:

قام الشيخ خليل طندمي برحلات ذات أهمية كبيرة في حياته من هذه الرحلات ما يأتي:-

[1] - مقابلة شفهية مع الشيخ خليل طندمي في زاويته يوم الثلاثاء 2013/12/17م وذلك في الساعة الحادية عشر صباحا.

رحلته إلى كولخ:

لما أتى الشيخ خليل بلد طندمي والتقى بالشيخ عبد الله بن يعقوب طندمي وتربى على يده بأذكار الطريقة التجانية اشتاقت نفسه للسفر إلى الكولخ لزيارة أكبر قطب التجانية الحاج إبراهيم إنياس الكولخي السنغالي.

فلما عزم الشيخ الانتقال من بلده وسمع بذلك بعض أحبابه عزم أربعة منهم على مرافقته، وهم: المعلم عمر لاَدَنْ (Ladan) طَنْ مَيَاقِي ([an Maya}i)، والحاج إسماعيل طَنْ مَيَاقِي، والمعلم يحيى مَسْكَا (Maska)، والمعلم محمد. ولكل واحد من الرفقاء ما يكفيه من الزاد في هذه الرحلة، أما الشيخ فلا يملك إلا نيرةً واحدة، دفعها أجرة لحلاق حلق رأسه، ومع ذلك تمت هذه الرحلة.

ألقى الشيخ مع رفقائه عصا التسيار في أماكن مختلفة قبل وصولهم إلى لاَغُوسْ (Lagos)، وانطلقوا من طن مياقي إلى فنتوا رجالا ثم أقلوا سيارة الأجرة إلى زاريا (Zaria)، ومن ثم إلى كدونا (Kaduna)، ونزلوا في دار الشيخ محمد غوند (Gwandu).

فلما أخبره الشيخ خليل بوجهته فرح فرحا عظيما وساعده على ذلك، استغرق لبثهم معه ستة أيام، وزار خلالها صديقه الأستاذ إبراهيم غرب، الذي حفظ كثيرا من أشعار الشيخ خليل لأنه معجب بها كثيرا، وأهدى إليه نقودا وثيابا فاخرة، والتقى أيضا بالشيخ شعيب كنتي (Kunti) في بلد لُوكُوجَا (Lokoja) رئيس الشرطة في كدونا، وقد أعجب كثيرا بفصاحة الشيخ خليل وحكمته، حتى إنه ليبكي عند سماعه لهذه الحكم البليغة التي تصدر من هذا الرجل الضرير والتي لم يسمع مثلها قط من غيره، وهو الذي طلب من الشيخ ورفقائه أن ينزلوا في دار صاحب له في كَغَرَا (Kagara) بولاية نيجر (Niger State) عند قاضي كغرا فنزلوا عنده يومين وأكرمهم غاية الكرم، وفي صباح اليوم الثالث أمر القاضي بإحضار سيارته ليسافرا إلى تغينا (Tegina)، ومن ثم إلى إبادن (Ibadan) ثم إلى لاغوس (Lagos).

وعندما وصل الشيخ خليل إلى لاغوس (Lagos) وجد رسالة موجهة من الشيخ إبراهيم إنياس يدعو فيها الملبين الأحباب لمشاهدة حفلة في بناء المسجد الجامع فالتحق الشيخ خليل في سلك الإخوة الملبين لهذه الدعوة القاصدين إلى مدينة الكولخ فركبوا السيارة إلى عاصمة غانا ومنها إلى كماسي (Kumashi) وفيها أدركوا شيوخا ومقدمين كثيرين تأهبوا لهذا السفر، فشحنت بهم ثلاث سيارات كبيرة إلى وغدغو (Ougadugu) ومن ثم إلى بماكو (Bamako) في أرض مالي، وفي بماكو نزلوا عند رجل يدعى طَنْ وَزِيرِ ([an waziri) كان بيته مجمعا للمستسرحين القاصدين مدينة الكولخ من أحباب الشيخ إنياس والقادمين منها، ومن بماكو ركبوا القطار الموصل إلى الكولخ فلما وصلوا تلقاهم الإخوة بسرور وابتهاج، وذهبوا إلى دار الشيخ علي سيس وبعد ما تناولوا الطعام انطلق بهم الشيخ علي سيس إلى الشيخ إبراهيم إنياس حيث لقي الشيخ خليل فضيلة الشيخ إبراهيم وصافحه، ودعا الشيخ له بالخير والبركة، ولما أراد الرجوع دعا له ونفث على ظهر كفه خلاف ما كان يصنع لسائر المودعين فكان ينفث في بطون أكفهم.

وعلى الجملة فإن الحديث عن هذه الرحلة طويل فيه عجائب وغرائب كثيرة ولكن الباحث هنا اختصر في غاية التقصير خشية الإطالة.

وفي أثناء مكثه في كولخ قال له السيد علي سيس يوما: تعال نذهب إلى الشيخ، فلما أتياه قال له: هات ما مدحت به الشيخ، فطفق ينشد هذه القصيدة:

يَا ذَا ٱلمَكَارِم وَيَا نُورَ الزَّمَانِ * ذَا ٱلعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَٱلعِلْمِ...

يَا سَيِّدَ ٱلعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ وَيَا * مَنْ حبّه قُوتُ أَهْلِ اللهِ فِي ٱلعَصْرِ

إلى قوله:

خُذْ بِيَدِ الضَّرِيرِ إِلَى حَضْرَاتِ بَارِئِهِ * حَتَّى يَكُونُ إِلَيْهِ دَائِمِ النَّظرِ

ثُمَّ اسْقِينه كُؤُوس الْمَدَدِ مِنْكَ كَمَـا * تُسْقِي جَمِيعَ رِجَالَ اللهِ الْخَيْرِ

يَا مَنْ حَبَاهُ فُنُونَ ٱلفَضْلِ خَالِقَــهُ * وَفَوْقَ ٱلْقِيَّاسِ لِأَهْلِ النُّورِ فِي ٱلقدْرِ

إلى قوله:

فَاحَتْ رَوَائِحهُ فِي كُلِّ نَاحِيةٍ * كَثُرَتْ مَنَافِعُـــــهُ ٱلْبَدْوِ وَٱلمِصْر

وانتقل إلى الأخرى، وهي:

بَدْرٌ تَبَدَّي ذَلِكَ الـــــلَّأْلَاءُ * حَتَّى اخْتَفَى فِي ضَوْئِهِ ٱلأَضْوَاءُ

أَمْ ثَغْرُ فَجْرٍ تَبَسَّمَ بَعْدَ مَا * طَالَتْ عَلَيْنَا لَيْلَةٌ دَرْعَـــــــــــــــاءُ

أَمْ نُورُ شَمْسٍ قَدْ تَجَلَّى صَافِيًا * وَسْطَ السَّمَا فَتَرَاءَتِ ٱلأَشْيَاءُ

واستمر يسرد القصيدة حتى تعجب الناس من هذا الأعمى تخرج جواهر الألفاظ من معدنه حتى قام رجل عزيز من أصحاب الشيخ إنياس يسأل عنه قائلا: فوتي؟ فوتي؟ فوتي؟ لأنه رأى صورته تشبه صورة الفوتيين، ويعلم أنهم من أوفر الناس حظا في العلم في تلك الناحية، وتولى الشيخ إبراهيم الإجابة عن هذا السؤال وقال: هوسا! هوسا!! هوسا!!! كررها ثلاثا وفق تكرار السائل.

استمر الشيخ خليل يتمتع بما وهبه الله سبحانه وتعالى من الفصاحة والحكم البليغة في نظم الأشعار ذات رنة وقيمة فنية.

وكان إنشاد هذه القصيدة بين يدي الشيخ في حوالي سنة ألف وتسعمائة وأربع وخمسين ميلادية (1954).

كان لهذه الرحلة أثر كبير في حياة الشاعر، ودام شوقه لمدينة الكولخ وأحب الرجوع مرة تلو أخرى كما أشار إلى ذلك شعره حيث قال:

لِذَلِكَ قَلْبِي لَمْ يَزَلْ بَاذِلاً لَّكُمْ * إِلَى أَبَدِ الآبَادِ أَصْفَى ٱلْمَحَبَّةِ

عَلِيٌّ خَلِيلُ الدَّهْرِ جِدٌّ مُتَيَّمٍ * يُحِبُّكُمُ هَلْ يَبْتَغِي غَيْرَ وُصْلَـــــــةِ

يُرِيدُ زِيَارَاتٍ لَكُمْ بَيْدَ أَنَّـــــــــهُ * حِبِيسُ ذُنُوبٍ فِي عُرَاهَا ٱلوَثِيقَةِ

فَهَلْ لَكُمُ فَكُّ ٱلأَسِيرِ الَّذِي شَكَى * إِلَيْكُـــــــــــــمُ أَطِبَّاءَ ٱلقُلُوبِ ٱلعَلِيلَةِ

وَهَلْ لَكُمُ أَنْ تَضْمَنُوا لِي عَوْدَةً * لِكَوْلَخ مَغْـــــــنَي ٱلأَوْلِيَاءِ ٱلأَجِلَّةِ

وقال في مدح الشيخ أحمد التجاني بن الشيخ إبراهيم إنياس:

فَلْتَرْضَ عَنِّي وَتَضَمَّن أَنْ أَكُونَ بِلاَ * تَعَبِ زِيَارَاتِهِ مَا عِشْت مُلْتَزِما

وقال أيضا:

جَدَّدتُّ رَوْمَ زِيَارَاتٍ لأَفْضَلِ مَحْـ * ـبُوبِي كَمَا نَالَهَا إِخْوَانِي ٱلكُرَمَا

وقال في قصيدة نونية يمدح فيها الشيخ نفسه:

وَاجْعَلْ مُرَادَ قُلُوبِنَا دَوْمًا أَبَـــــــا * إِسْحَاقَ مَنْ تَصْفُو بِهِ ٱلأَزْمَانُ

حَتَّى نَكُونَ مَحَبَّةً وَزِيَـــــــــــــــــــارَةً * دَأْبًا هُنَاكَ كَأَنَّنَا سُكَّـــــــــــــــــانُ

فهذه الأبيات وغيرها في قصائد الشاعر تشير إلى شدة رغبته وشوقه في تكرار هذه الرحلة المباركة.

رحلته إلى الحرمين لأداء فريضة الحج[1]:

من فضل الله تعالى على الشيخ خليل وإنعامه عليه أن يسر له السبيل إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وذلك بعد قليل من وقت طلبه من الشيخ علي سيس بأن يدعو الله له بالسير

[1] - مقابلة شفهية مع الشيخ خليل طندمي في زاويته يوم الأربعاء 2013/10/09م، وذلك في الساعة العاشرة والنصرف صباحا.

إلى زيارة بيت الله الحرام في قصيدة مدحه بها، وأنشدها بين يديه حين قال:

وَهَل لَّكُمْ أَنْ تَضْمَنُوا لَهُ عَوْدَةً * لِكَوْلَخَ مَغْنَي ٱلأَوْلِيَاءِ ٱلأَجِلَّـــــــــةِ

وَأَنْ تَسْأَلُوا اللهَ ٱلكَرِيمَ لَهُ ٱلغِنَى * وَسَيْرًا إِلَى ٱلحَرَمَيْنِ مَطْوِيَّ شُقَّةِ

أجاب الله دعاء السيد علي سيس إذ طوى جميع أنواع المشقة عن الشيخ خليل وأتاح له فرصة سانحة للذهاب إلى بيته الحرام في أقرب ساعة ممكنة من دعائه، فتم للشيخ أداء فريضة الحج في ذلك العام على بركة الله وحسن عونه.

ومن خير تحفة التي قدم بها قصيدته الدالية التي مدح بها الشيخ إبراهيم هناك في الأرض المقدسة التي مطلعها:

لِرَبِّي كُلُّ ٱلحَمْدِ وَالشُّكْرِ سَرْمَدَا * عَلَى مَا حَبَا مَنْ حَظُّهُ سِرُّ أَحْمَدَا

وَمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ فَلاَ تَرْكَنَنْ أَخِي * إِلَى ٱلعَدِّ وَاقْرَأْ كُلُّ صَيْدٍ لِتُرْشَـــــــدَا

فَمَا ذَرَةٌ فَازَتْ بِمَقْسُومِهَا سِوَى * بِوَاسِطَةٍ مِنْ ذَلِكَ السِّرِّ فيِ ٱلجَدَى

وَأَعْنِي بِهِ بَرْهَامَ غَوْثَ الْوَرَى الَّذِي * بِهِ أَبَدًا نَمْشِي عَلَى مَنْهَجِ ٱلهُـــدَى

جَزَاهُ إِلَهِ النَّـــــاسِ خَيْرًا لأَنَّـــــــــــــــهُ * تَحَمَّلَ اِنْقَاذَ ٱلبَرَايَا مِنَ الـــــــــــرَّدِى

مَحَبَّتُهُ فَوْزٌ كَبِيرٌ وَمَدْحُـــــــــــــــــــــــــــهُ * كَذَلِكَ فَاجْمَعْ ذَيْنَ مَنْ يَبْتَغِي النَّدَى

بِجَمْعِهِمَا تَحْيَى سَعِيدًا مُكْرَّمَـــــــا * مُبَارَكَ أَفْعَالٍ وَنَسْلٍ مُسَـــــــــــوَّدَا

وَمَا قُلْتُ إِلاَّ مَا رَأَيْتُ فَلاَ تَكُنْ * مِنَ ٱلمُمْتَرِينَ الدَّهْرَ صَدِّقْ لِتَسْعَدَا

إلى آخر القصيدة، وهي ثمانية وعشرون بيتا.

وبعد هاتين الرحلتين رحلة تعليمية، وهي عبارة عن رحلات متكررة إلى زاريا وغيرها طلبا للعلم.

ثناء العلماء له[1]:

لما رزق الله الشيخ خليل من الذكاء الحاد والأخلاق النبيلة والاجتهاد في العلم والعبادة والصبر والأمانة وغيرها من الصفات الحميدة دعا له العلماء بالبركة وأثنوا عليه خيرا وذلك منذ نعومة أظفاره.

من عبارات ثنائية صادرة من أفواه العلماء في الثناء على الشيخ خليل ما يلي:-

قول أستاذه مالم مجي داطي (Maji da]i):

"يا خليل إن لم تكن مباركا فمن ذا يكون مباركا؟"

ومدح الشيخ علي سيس بقصيدة وأرسلها إليه، فلما وصلت إليه قال له: "يا خليل رأيت وقلت: بارك فيك، لا فض الله فاك"[2].

وأخذ الشيخ أبو بكر عتيق ساكنو (Sakanau) بيده حتى وصل به إلى الشيخ إبراهيم فقال فيه الشيخ: "هذا! هذا!! هذا!!! إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"[3].

وأمثال هذه العبارات الثنائية الصادرة من أفواه فطاحل الشيوخ وكبار العلماء في الثناء على الشيخ خليل كثيرة جدا لا يمكن إحصاؤها في هذا المجال، وذلك مما يدل على ما كان له بين العلماء من المكانة المرموقة، وعلى له في حياته من السيرة الحسنة.

أخلاقه:

---

[1] - مقابلة شفهية مع المعلم تكر في بيته، يوم الثلاثاء 2016/01/19م، وذلك في الساعة الثانية عشر ظهرا.

[2] - المرجع السابق.

[3] - المرجع السابق.

اتصف الشيخ خليل بالأخلاق النبيلة والصفات الجميلة منذ فجر حياته إلى أن لبّى دعوة ربه سبحانه وتعالى، منها الصدق، والأمانة، والورع، والزهد، والتقوى.

كانت العبادة من صلاة وصيام ودعاء وذكر وتلاوة القرآن أهم أعماله، وكان محبا للرسول ﷺ وأهل بيته ومن بعده من الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم يجمع الله الأولين والآخرين.

وكان متصفا بالجود والكرم والصبر والعفة، قانعا بما رزقه الله به، ومعينا للضعفاء والمحتاجين، وقافا عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا يخاف في الله لومة لائم.

وكان بعيدا عن الكبر والطغيان والحقد والحسد والظلم وسائر المنكرات والمعاصي.

وكان يجازي بالسيئة الحسنة ويقابل الحسنة ويعفو عن الزلات والأخطاء، وكان حسن المعاملة وفاء بالوعد ميالا إلى الحق معترضا عن الشهوات الدنيوية وملذاتها.[1]

مجالسه العلمية:

من أهم مجالسه لتعليم الناس شؤون دينهم ووعظهم دهليزه الذي كان يدرس فيه كثيرا من طلبة العلم في كثير الفنون العلمية، وذلك طيلة أيام الأسبوع إلا يومي الخميس والجمعة الذين يعتبرهما علماء غرب أفريقيا يومي إجازة نهاية الأسبوع للعلماء والمتعلمين.[2]

وله مجالس أخرى يقيمها سنويا في لوكوجا (Lokoja) بولاية كوغي (Kogi) وفي بدّا (Bidda) بولاية نيجر (Niger)، وفي دُغُو (Dugu) بحكومة سابوا (Sabuwa) المحلية هنا في ولاية كتشنة.

---

[1] - مقابلة شفهية مع المعلم تكر في بيته، يوم الثلاثاء 2016/01/19م، وذلك في الساعة الثانية عشر ظهرا.

1- مقابلة شفهية مع المعلم سنوسي بيته، يوم الثلاثاء 2016/01/19م، وذلك في الساعة الواحدة ظهرًا.

كان يحضر لوكوجا في أواخر شهر محرم إلى بداية ربيع الأول، يمكث في ذلك للوعظ والتعليم والإفتاء وتلقين أوراد الطريقة التجانية وأذكارها، وقد يتبعه جمع غفير من الطلبة عند عوته إلى طندمي، ويرسل الآخرون أولادهم فيبقوا معه في طندمي ليتعلموا ويتلقوا منه تربيتهم.

وفي اليوم الثالث عشر من شهر صفر كان يقيم حفلة مولد الشيخ أحمد التجاني.

وكان يحضر بدّا في أوائل المحرم بعد عيد الأضحى بأيام قليلة.

وأما دغو (Dugu) فكان يأتيها في رمضان كل سنة، حيث يجتمع إليه ناس كثيرون فيفسر القرآن الكريم وهم يصغون إليه ويسألونه عمّا أشكل عليهم من أمر دينهم.

أعماله:

قام الشاعر بأعمال كثيرة وساهم مساهمة قيمة في نشر العلوم الدينية.

ومن أهم أعماله تأسيس مدارس إسلامية كثيرة لعبت أدوارا بارزة ومهمة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في البلاد، ومن هذه المدارس:-

مدرسة أنصار دين السلام[1]:

هي مدرسة عظيمة الشأن وكثيرة الفروع في طندمي (Dandume) وما جاورها، وفي ولاية كشنا وغيرها في شمال نيجيريا. يقع مقرها الرئيسي قرب محكمة طندمي (Dandume) ومرشدها العام هو الشيخ محمد الهادي ابن مؤسسها وشيخها خليل بن حامد.

[1] - مقابلة شفهية مع المعلم محمود خليل، مدير المدرسة، يوم الثلاثاء 2016/01/19م، في بيته، وذلك في الساعة الثانية عشر صباحا.

لعبت هذه المدرسة دوراً بالغا في نشر الثقافة الإسلامية أكثر مما لعبته غيرها من المدارس النظامية في هذه الناحية، احتوت هذه المدرسة من بين مدرسيها وطلابها على كثير من الشعراء الذين رفعوا راية الشعر العربي في طندمي (Dandume).

زوجاته وأولاده:

تزوج الشيخ خليل بن حامد في حياته بست نسوة وهن كالآتي:-

1-السيدة فاطمة جاكو (Jaku) أي الحمراء باللغة الفلانية، وتعجب الناس كثيرا من الشيخ خليل، ومن تزوجه بهذه المرأة الحسناء يخطبها الأغنياء والأثرياء والأمراء ولكنها رفضت وتزوجت بالشيخ خليل مع كونه ضريرا، تزوج بها وهو ابن ثماني عشرة سنة وعمرها ثلاث عشرة سنة، وذلك قبل ذهابه إلى زاريا طلبا للعلم فذهبت معه، وكانت صالحة مطيعة لزوجها فيما أمر ونهى، وتوفيت-رحمها الله- بعد ما أنجبت له ولدين.

2-السيدة رابعة التي توفيت في عام 1423ه بعد ما أنجبت له اثنى عشر ولدًا.

وتوفي رحمة الله عليه عن أربع نسوة وهن:

1-السيدة سارة.

2-السيدة هند بنت الشيخ ثالث فاتكا (Fatika).

3-السيدة بريرة.

4-السيدة مريم بنت الشيخ طندمي.

ورزقه الله من الأولاد ذكورا وإناثا وهم كالآتي:

1-المعلم محمد الكبير.

2-المعلم محمد الهادي.

3-المعلم محمد المحمود.

4-محمد المهدي.

5-محمد جمال الدين.

6-محمد طه.
7-محمد نجم الدين.
8-محمد البشير.
9-محمد المأمون.
10- محمد فخر الدين.
11- محمد مصباح الدين.
12- محمد أمين الله.
13- محمد حبيب الله.
14- محمد المنير.
15- محمد شرف الدين.
16- محمد نجيب الله.
17- فاطمة.
18- آمنة.
19- المعلمة رحمة الله.
20- حليمة السعدية.
21- رابعة العدوية.
22- خديجة الكبرى.
23- سعادة الدارين.
24- صفية.
25- بركة.
26- عائشة الحميراء.

بعض تلاميذه:

تتلمذ على يد الشيخ خليل طندمي جمّ غفير من طلبة العلم، كان بعضهم من أهل طندمي أصلا وما جاورها قاموا بعد تعليمهم بتدريس أولاد المسلمين حيث كان البعض رحالة جاءوا إلى طندمي طلبا للعلم، وأكثر أولئك رجعوا بعد تعلمهم إلى بلادهم وتصدروا للتدريس.

ومن أمثلة طلابه في طندمي الأستاذ محمد السابع، والأستاذ عثمان ساقي (Sa}i)، وكذلك أولاد الشيخ ذكورهم وإناثهم أمثال الشيخ محمد الهادي، والسيدة رحمة الله غنبيا (Gimbiya)، ومنهم الشاعر المجتهد السيد محمد السَنُوسِي بن محمد السابع كلغ، والشاب الخطاط الرسام محمد تُكُر بن الحاج مختار مَرْكي (Marke) وغيرهم كثير.

ومن الذين كانوا رحالة الشيخ محمد نَائِبِي (Na'ibi) بن الشيخ إبراهيم ياباغي (Yabagi) لُوكُوجَا (Lokoja) بولاية كوغي (Kogi State)، والشيخ إبراهيم بن الشيخ العالم المجتهد الشيخ يعقوب منا (Minna) ساكن كدونا، ومنهم العالم الشهير الشيخ محمد نافع بن الحاج معاذ منا، ولاية نيجر (Niger State)، وغير هؤلاء كثير كانوا متفرقين في أنحاء هذا الوطن.

وفاته:

كانت وفاة الشيخ خليل في يوم الخميس الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ألف وأربعمائة وست وثلاثين هجرية (1436ه- 2015م) بعد مرض ألمّ به سنتين، واشتد قبيل وفاته بأسبوعين، توفي وله من العمر ثلاث وثمانون سنة، ونسأل الله تعالى أن يرزقه حياة سعيدة أبدية في الآخرة.

خلفاؤه:

توفي الشيخ خليل وخلف بعده ذرية كثيرة تشمل أولاده وأحفاده وأزواجه، ولكن الذي تولى إجراء شؤون زاوية الشيخ هو ابنه محمد الهادي من افتاء وإلقاء الدروس وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي كان يقوم بها الشيخ في حياته.

ولكن الشيخ محمد الهادي عاجلته المنية فتوفي بعد وقت وجيز من توليته خلافة الشيخ حيث أصابتهم حادثة سيارة بقرب قرية إللاّ (Ilalla) قريبة من بلد طندمي وهم عائدون من سفرهم إلى كشنا، توفي الشيخ محمد الهادي مع إخوانه الثلاثة في هذه الحادثة رحمة الله عليهم أجمعين.

وتولى الأمر بعد الشيخ محمد الهادي أخوه الشيخ محمد الكبير، فالآن هو خليفة الشيخ خليل طَنْدُمي.

وأما من ناحية البيئة الثقافية فكانت قرية طندمي معروفة بثقافتين الغربية والعربية، لكن يقتصر الباحث بالحديث الوجيز عن الثقافة العربية كما يلي:

الثقافة العربية الإسلامية:

أما الثقافة العربية فقد وجدت حظا موفورا عند سكان طندمي وجيرانهم ففيها مدارس إسلامية ومعاهد دينية كثيرة، وجهابذة العلماء الذين انتهلوا كثيرا من بحور المعرفة والعلم وتصدروا للتدريس وتعليم الناس أمر دينهم، ومن أمثلة أولئك الفطاحل من العلماء ومعاهدهم ما يأتي:-

1-معهد الشيخ عبد الله يعقوب طَنْدُمي:-

كان معهد الشيخ عبد الله من أوائل المعاهد الدينية في بلاد طندمي (andume]) وساهم مساهمة فعالة في تطور الثقافة العربية الإسلامية في البلاد حيث يدرس فيه المواد الإسلامية الكثيرة، من الفقه المالكي، والحديث والتوحيد، وكتب السيرة، وكتب كثيرة في فن التصوف.

وكذلك مواد اللغة العربية من النحو والصرف والبلاغة والأدب وغيرها من فنون اللغة.

وبعد وفاة هذا الشيخ الجليل خلفه ابنه الشيخ يوسف عبد الله، وبعد وفاة الشيخ يوسف خلفه أخوه الشيخ أحمد التجاني وما زال على قيد الحياة.

2-معهد الشيخ خليل حامد طَنْدُمي:

تولد هذا المعهد من معهد الشيخ عبد الله يعقوب السالف الذكر لأن شيخ المعهد الشيخ خليل بن حامد كان من تلامذة الشيخ عبد الله، فتأسس معهده سنة (1966م) إلى الآن.

وتدرس فيه جميع الفنون والمواد المدروسة في معهد شيخه المتقدم الذكر.

3-معهد الشيخ إبراهيم نَهُنْقُيِ (Nahunkuyi):

تأسس هذا المعهد سنة (1944م) إلى أن توفي شيخه المعلم إبراهيم نَهُنْقُي (Nahunkuyi) فخلفه ابنه المعلم أمين وما زال هو شيخ المعهد إلى اليوم.

وتدرس فيه المواد الإسلامية والعربية الكثيرة، وتتلمذ على يد شيخ هذا المعهد كثير من طلبة العلم.

منهج التعليم في المعاهد الدينية في طندمي:

أما المنهج الذي يتبعه علماء طندمي في تدريس طلابهم فيشمل المواد الدينية مثل الفقه والحديث والتفسير، ويشمل-كذلك- مواد اللغة العربية مثل النحو والصرف والبلاغة والأدب.

المدارس القرآنية:

ومعلوم أن المدارس القرآنية ظهرت في وقت مبكر بظهور الإسلام، وأن بلاد طندمي لم تخل من مثل هذه المدارس كشأن غيرها من البلدان التي يسكنها المسلمون، وتكون هي النقطة المبدئية في تعاليم الدين الإسلامي، وقل من لا يقرأ في أمثال هذه المدارس من أولاد المسلمين في ذلك الوقت وفي بادئ أمره التعليمي.

وهذه المدارس عبارة عن المساجد أو بيوت العلماء أو فناء بيوتهم أو تحت الأشجار، وبعضهم يذهبون إلى خلوات في الغابة ويصنعون خياما من الخوص ما يسمى في لغة هوسا بـ(قسقالي {is}ali) ويتدارسون فيه نهارا وفي آخر النهار يعودون إلى بيوتهم حاملين أخشابا وحطبا يستعينون بها في الدراسات الليلية حيث يضرمون النار أمام بيوتهم.

وفي المدارس القرآنية (الكتاتيب) يدرس أطفال المسلمين القرآن الكريم ويحفظون ما تيسر حسب مقدرة الطالب ورغبته.

والعلماء يقفون على تعليمه ابتغاء مرضاة الله ونشر الإسلام ولكنهم كانوا يطلبون من آباء الأطفال التصدق لهم بأطعمة أو ذبائح إذا وصل الأطفال إلى أحزاب معينة.

ويقال: إن عدم القيام بهذه الصدقات يجعل الطفل شاغل الفهم أو مجنونا.

منهج التعليم المتبع في المدارس القرآنية:

وأما الطريقة التي يتبعها بهذه المدارس هي أن يقرأ المعلم للتلميذ من سورة الفاتحة وسورة الناس حتى يصل إلى سورة الفيل أو سورة التكاثر قراءة شفوية ثم يرجع التلميذ إلى تعليم الحروف الهجائية فيكتب المعلم له على اللوح هذه السور التي قرأها شفاهة، في هذه المرة يتعلم التلميذ الحروف بدون شكل ويسمى ذلك بَبَّقُو (Babba}u)، ثم يرجع التلميذ ويعيد قراءة الحروف تلك ولكنه في هذه المرة يقرأها مشكلة ويسمى ذلك فَضْفَضُو (Farfaru)، ثم يرجع ويعيد القراءة مع الحفظ حتى يصل إلى سورة الفيل أو فوقها، وهو ما يسمى بـ(تَتَّاشِيَا Tattashiya)، فيواصل القراءة إلى سورة البقرة.

وتلي ذلك مرحلة الحفظ؛ وللقرَّاء في ذلك أحوال مختلفة وهي كالآتي:-

الحالة الأولى: حالة الحفظ (Hadda) أو (Tilawa):

يتلو القارئ في هذه الحالة ما كتبه في لوحه عدّة مرات يستطيع في أثنائها أن يحفظ الكتابة حفظا جيدًا ويثبت ذلك بأخذ اللوح عن القارئ ويقرأ المكتوب حفظا بدون النظر إليه.

الحالة الثانية: القراءة الجيدة المتأنية (Raushi):

فالقارئ في هذه الحالة يتلو المكتوب في لوحه مرات لا تبلغ إلى مستوى الحفظ ويغسل لوحه ويكتب كتابة أخرى جديدة وهكذا حتى يختم القرآن.

الحالة الثالثة: القراءة السريعة (Zu}u):

في هذه الحالة يغسل القارئ لوحه في كل يوم ويكتب كتابة جيدة بغض النظر عن الحفظ (Hadda) أو القراءة الجيدة (Raushi) اللتان تأخذان أياما كثيرة من وقت القارئ قبل أن يغسل اللوح.

وتلو هذه القراءة السريعة قراءة أسرع منها تسمى بِيي (Biye)؛ وهي عبارة عن تلاوة القرآن بدون كتابته في اللوح حيث يتلو القارئ مع أستاذه في كل يوم حزبا واحدا أو نصفه أو ربعه أو غير ذلك حتى يختتم.

وإذا ختم التلميذ القرآن يقام عند ختمه وليمة يذبح لها حروف، ويحضرها العلماء والحفاظ وأهل القارئ وزملاؤه، ثم يكتب له الثمن الأول من القرآن الكريم ويتلى أمام الحفاظ الحاضرين ويختم بالدعوات، وأخيرا يأكل الناس ما أحضر من أنواع الأطعمة.

ومن أمثلة هذه المدارس ما يأتي:-

1-مدرسة المعلم أبو بكر طَنْ كَنَاوَا ([an Kanawa])؛ التي سميت بعد بـ(معهد الزهاد):

أسست هذه المدرسة سنة سبع وثلاثين سنة تقريبا، بدأت بحوالي مائتي طالب جاءوا من بلاد مختلفة، ومن علمائها:

- المعلم أبو بكر طَنْ كَنَاوَا ([an Kanawa]).
- المعلم أبو بكر.
- المعلم أَلْمُو عبد الله.

2-مدرسة المعلم أحمد طاهر:

سميت بعد بـ(مدرسة نور الإسلام)، أسست في سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثمانين ميلادية، لها من الطلبة ما لا يقل عن

أربعمائة وخمسين طالبا، جاء كثير منهم من بلد قَيَا (aya}) في ولاية كدونا (Kaduna).

3-مدرسة المعلم إبراهيم بَبَّا (Babba):

سميت بعد باسم (مدرسة فيضة الإسلام)، يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة ألف وتسعمائة وثمانين ميلادية، يبلغ عدد طلابها خمسمائة طالب، معظمهم من بلاد غَنْغَرى (Gangare)، ودُوغُونْ دَوَا (Dogon-dawa) وإِنُونُو (Inono) ومَهُوتَا (Mahuta)، ويَرْكَاسُوَا ('Yarkasuwa).

وشيء آخر تجدر الإشارة إليه هو أن المدارس القرآنية دخلها شيء من التجديد مثل تسميتها بأسماء تماثل أسماء المدارس الإسلامية كما شاهدنا ذلك في المدارس الثلاثة المذكورة، وكون معلمي المدارس القرآنية وطلابها يطرقون أبواب علوم أخرى إسلامية ولغوية إضافة إلى دراستهم القرآن، هذا بخلاف ما كان عليه الأمر من قبل حيث كانوا يقتصرون على تلاوة القرآن وحفظه.

أما المدارس الإسلامية النظامية فكثيرة، ومن أشهرها ما يأتي:-

1- **مدرسة حزب الرحيم طندمي:**

يرجع الفضل في تأسيسها إلى الشيخ عبد الله بن يعقوب، وكان لها فروع كثيرة في داخل طَنْدُمي (andume]) وخارجها، ولفروعها أوقات مختلفة للدراسة، وتخرج من هذه المدرسة جم غفير من طلبة العلم فواصل بعضهم الدراسة إلى المعاهد العليا وإلى الجامعات وتحصلوا على شهادات مختلفة الدرجات.

ومن الطلبة المتخرجين من هذه المدرسة:

1- المعلم نور الدين بن الشيخ عبد الله يعقوب طَنْدُمي، كان من أوائل خريجي هذه المدرسة، له من الشهادات العلمية ما فوق الثانوية ما لا يقل عن درجة الليسانس حصل عليها في

جامعة أحمد بلو زاريا. هو الآن قاض في إحدى المحاكم الشرعية في مدينة مِنَا (Minna) بولاية نيجر (Niger State).

2- المعلم برهام نجل الشيخ عبد الله يعقوب طَنْدُمي، هو -أيضا- من المتخرجين الأوائل من هذه المدرسة الذين واصلوا دراستهم إلى الجامعات، وهو الآن موظف في حكومة الشريعة بولاية كشنه.

3- المعلم مجتبى عبد الله طَنْدُمي، تخرج من هذه المدرسة وواصل دراسته حتى التحق بجامعة بايرو بكَنُو (Bayero University, Kano)، ونال درجة الماجستير.

والآن يعمل محاضرا بقسم اللغة العربية في جامعة بايرو (BUK) كانو.

2-مدرسة أنصار الدين:

أسسها الشيخ خليل بن حامد طَنْدُمي ([andume]) كانت تحت رعاية ابنه الشيخ محمد الهادي، ولها فروع كثيرة في ولاية كشنا وفي غيره من الولايات المجاورة.

احتوت هذه المدرسة من بين مدرسيها وطلابها على كثير من الشعراء الذين رفعوا راية الشعر العربي.

3-كلية الشيخ أبي بكر محمود جمي:

أسستها جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، كانت في أول أمرها ابتدائية ثم رفع قدرها إلى مستوى الكلية وسميت بهذا الاسم.

لعبت هذه المدارس وغيرها أدوارا بالغة في نشر الثقافة العربية الإسلامية وازدهارها في هذه الناحية، وكان لهذه الثلاثة حق السبق بين سائر المدارس الإسلامية الموجودة في طندمي ([andume]) وما جاورها، أمثال: مدرسة طريقة الهدى، ومدرسة نور الدين الإسلامية لقبيلة يوروبا (Yoruba)، ومدرسة جماعة نصر الإسلام، والفودية للشيعة، ومدرسة أنصار الملة المرمدية، ومدرسة لواء القرآن وغيرها.

المبحث الثالث: شاعريته:

كان الشيخ خليل طندمي من شعراء كتسنا المجيدين من منتصف القرن العشرين إلى أوائل القرن الحادي والعشرين الميلادي، كانت فنون شعره المدح والرثاء والترحيب، ينظم الشعر في مدائح شيوخه وأبنائهم وفي رثاء من توفي منهم وفي ترحيب من قدم منهم إلى بلدته طندمي أو قدم من وطن آخر إلى نيجيريا.

ويمكن القول بأن الشيخ خليل شاعر مطبوع لأن حظ الطبع في شعره أكثر من حظ الصنعة.

وكان الشاعر أحيانا يتقيد بما تقيد به الشعراء الأقدمون كلزوم القافية الواحدة في القصيدة واستعمال الأوزان الشعرية ويتحرر أحيانا أخرى فيشبه شعره شعر المحدثين.

أما أسلوبه ومعانيه فكان يختار لممدوحه أسلوبا خفيفا يجعله قريبا إلى النفوس، ويلتزم الأسلوب اليسيرة السهل سهولة تقترن بموسيقى صافية حلوة مع المعاني الواضحة.

أما التكسب بالشعر الذي وجد عند بعض الشعراء فيمكن القول في الشيخ خليل بما قاله أبو العلاء المعري عن نفسه حيث قال: "ولم أطرق مسامع الرأساء بالنشيد ولا مدحت طلبا للثواب، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس، فالحمد لله الذي ستر بغفة من قوام العيش ورزق شعبة من القناعة أوفت على جزيل الوفر"[1]، فالشاعر خليل طندمي لا يمدح طلبا للنوال وإنما يمدح تبجيلا لمشايخه وأبناء مشايخه ويرثيهم بمراثي تظهر فزعه وتفجعه على فقد ممدوحه.

دقة التصوير في شعره:

كان الشيخ خليل مع كونه مكفوف البصر يصف الأشياء ويصورها كأنه رآها بأم عينيه، يشبه أمره أمر بشار بن برد

[1] - شوقي ضيف (الدكتور)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، بلا تاريخ، ص: 156.

الذي قال فيه الأصمعي: "إنه ما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله".[1] والفرق بينهما في مسألة البصر بسيط جدا، وهو أن بشارا ولد مكفوف البصر ما نظر إلى الدنيا قط، ونظر إليها الشيخ خليل من الولادة إلى زمن الفطام.

ويشبه أمره كذلك أمر أبي العلاء المعري الذي يقول عن نفسه: "وقد علم الله أن سمعي ثقيل وبصري عن الإبصار كليل، وقضي عليّ وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل والربع"[2]، وكان يقول: "لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأني ألبست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر، لا أعقل غير ذلك"،[3] والفرق بينهما في مسألة البصر هو أن المعري كفّ بصره في السن الرابع وكفّ بصر الشيخ خليل من زمن الفطام.

كما اتصف بشار وأبو العلاء المعري بحدة الزكاء فكذلك الشيخ خليل قد عوضه الله عن بصره ذكاء حادّا استطاع به أن يصف الأشياء في شعره كما يصفها المبصرون.

فها هو يصور كيف يزيل ضوء النهار ظلّ الظلام في مرثية رثاء بها الشيخ أبا بكر سِرِنْبَيْ (Sirinbai) حيث يقول:

ولكنّ عذرها أضحى وضوحا * لديهم كالضحى المبدي الظلال

عقد الشاعر في هذا البيت تشبيها بظاهرة تبديد ضوء النهار لظل الظلام رغم أنه فقد بصره قبل أن يعرف شيئا من هذا القبيل.

وقال في قصيدة يمدح ويرحب فيها بالشيخ علي سيس:

أهلا بمن شغله ما عاش خدمة من * خـــــــــــــــدامه سبقهم نار على علم

---

[1]- المرجع السابق.

[2]- المرجع السابق، ص: 376.

[3]- المرجع السابق.

ومن يكن سبقهم خدام أوضح من * شمس الظهيرة مهدى الجود والكرم

في أول هذين البيتين رحب الشاعر بممدوحه وشبه كونه مع أتباعه وظهوره بينهم بنار أضرمت على قمة جبل شامخ بحيث يستطيع كل إنسان أن يراها، وذلك مع كونه لم ير الجبل ومقدار طوله استطاع مع حدّة ذكاءه أن يصف هذه الظاهرة.

وفي ثانيهما شبهم بشمس الظهيرة التي لا تخفى على أي مبصر مع أن الشاعر قد كف بصره قبل أن يعرف هذه الحالة مما يدل على قوة ذكاءه وتصويره للأشياء.

ويقول أيضا في نفس القصيدة:

لكنّ رائم إلمام بغايتكم * بالمدح صار كوثاب إلى النجم

شبه الشاعر في هذا البيت من يريد معرفة أقصى ما لممدوحه من الخيرات ليمدحه بها بالإنسان الذي يثب طلبا للوصول إلى النجم في نفي الحصول على مراده، والشاعر كان مكفوف البصر من قبل أن يعرف النجم وعلو مكانه في السماء.

ويقول في مدحية أخرى مدح بها الشيخ علي سيس:

أنجم لاح في جنح الظـــلام * لسار حار أم بدر التمـــــــــــــام

أم الشمس المنيرة في سماها * بدت وضياؤها في الأفق سام

فدع ذي كلها إذ يعتريهـــــا * أفول أو كتغطية الغمـــــــــــام

فهذا النور ليس له أفـــــــول * ولا يعلوها عال من ظـــــــــلام

عقد الشاعر في هذه الأبيات تشبيهات في ظواهر لا يعرفها قبل أن يكف بصربه حيث بدأ يسأل هل نجم ظهر الإنسان يسير في ظلمة الليل فتدخله الطريق؟ أو ظهر له بدر تمّ نوره؟ أو طلعت عليه الشمس وضوؤها في أفق السماء؟ ثم قال دع عنك كل هذه لأنه قد يعتريها أفول وتغطية الغمام، فتغطية الغمام

لضوء الشمس ونور القمر ولمعان النجوم حالات لا يعرفها الشاعر قبل أن يكف بصره، وأشار ذلك إلى قوة ذكاء وكثرة جولاته في دنيا الخيال.

المبالغة:

كان الشيخ خليل شاعرًا يضيف إلى معانيه مبالغة تزيدها جمالا، كما يوجد ذلك عند شعراء الأقدمين، أمثال بشار والمتنبي وغيرهما من شعراء العصر العباسي، فمثلا يقول بشار مفتخرا ومبالغا:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدم[1]

ويقول الشاعر خليل طندمي في الهمزية التي مدح بها الشيخ إبراهيم إنياس:

بدر تبدى ذلك اللألاء * حتى اختفى في ضوئه الأضواء

شبه الشاعر ممدوحه بالبدر في جامع البياض وشدة ضوئه حتى تجمعت الأضواء الأخرى كثيرة واختفت في ضوئه فهذه ظاهرة يصعب على الإنسان وصفه في ذهنه لما فيها من المبالغة، وأمثلتها كثيرة في القصائد.

التشخيص:

كان الشيخ خليل في بعض أشعاره يستخدم التشخيص في تصويره للأشياء إذ كان يحس بعض الأشياء ناطقة وأشخاص متحركة كما وجد ذلك عند بعض الشعراء أمثال أبي تمام وابن الرومي في تشخيص الطبيعة ومظاهرها، يقول الشيخ خليل في رثائه للشيخ أبوبكر سرنبي:

وما للخلد تضحك حين تبكي * عيون الأصفياء بالانهمال

فالشاعر في هذا البيت أظهر جنة الفردوس في صورة إنسان يضحك لشيء يسره ويضحكه وذلك ليزيد بناءه جمالا فنيا.

---

[1] - شوقي ضيف (الدكتور)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، بلا تاريخ، ص: 153.

ويقول أيضا في قصيدة رحب فيها بالشيخ علي سيس أثناء قدومه إلى نيجيريا:

أنيجيريا فلتحمد الله واشكري * أَتَاكِ بعيد اليأس زين الأئمة

أظهر الشاعر في هذا البيت صورة نيجيريا في صورة إنسان يدعوه ويأمره بحمد الله وشكره على ما أصبغ عليه من النعم في زيارة هذا الشيخ الجليل.

وقال في مدح الشيخ إبراهيم إنياس:

أم صغر فجر فبسم بعدما * طالت علينا ليلة درعاء

فالشاعر في هذا البيت يظهر صورة فجر طلع في صورة إنسان ذي فلجة براق الثنايا تبسم، لأن الابتسام من لوازم الإنسان، عقد الشاعر هذا التشبيه ليزيد فنه جمالا.

وقال في رثاءه:

فقد به بكت الأراضي والسما * وجميع مع حوتا على ذا الأشجع

صورة الشاعر في هذا البيت صور السموات والأرضين في صورة إنسان يبكي لفقد حبيبه.

أثر انكفاف البصر في شعره:

قد أثر في الشيخ خليل عدم بصره أثرا كبيرا دلّ عليه شعره في ظواهر مختلفة منها ما يلي:

تجده أحيانا يبين قلة حظه في عدم نظره إلى ممدوحه، حيث يقول في رثاء الشيخ أبي بكر سرنبي:

لنا سعد كبير حيث كنا * عرفنا ذا الولي مع العيـــــــــــــــال

سمعنا صوته ورآه منـــــــــا * ذوو الأبصار هذا الحظ غال

يصف الشاعر في هذين البيتين السعادة الكبيرة التي تحصلوا عليها في معرفتهم لهذا الولي ومعرفتهم لعياله، وحيث سمعوا صوته جميعا ورآه ذوو الأبصار فأشار الشاعر إلى أن

الحظ في جمع السماع مع الرؤية غال ونفيس مع كونه اختص بالسماع فقط دون الرؤية وفي ذلك إشارة إلى رغبته في تحصيل الرؤية له بحاسة البصر، وأحيانا يذكر عدم بصره صفة يستعملها في إظهار الضعف والتواضع، يقول مثلا في مدح الشيخ علي سيس:

علي القدر جاءك ذا ابتغاء * عديم البصر من زمن الفطام
هو الجاني الخليل الطنـــدمي * ومطلبـــــــــــــه
زيـــــــــــــارة إبرهام

أظهر الشاعر ضعفه وتواضع في هذين البيتين وذكر أنه فقد بصره في وقت فطامه وجاء إلى علي سيس معترفا بذنبه وطالبا منه الضمان في زيارة شيخه برهام.

وتجده في قصيدة أخرى يجعل عدم بصره علة تعوقه وتحجزه عن العلم، قال يرحب بالشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس:

هذه القصيدة تمت ورض قائلها * يا سيدي كرما إذ لست فهاما
قد كفّ بصري من حين الفطام لها * ذا الذ تقدم لي لم أمس علاما
ما لي بها طاقة لولا وجودي من * شيخي وقرة عيني الغوث إلهاما

أشار الشاعر بهذه الأبيات إلى تمام القصية وطلب رضا سيده إكراما له إذا لم يكن كثير الفهم، وقد كفّ بصره من وقت الفطام لذلك لم يكن علاما، أي منعه كفّ بصره من أن يكون عالما كبيرا، ثم أشار إلى أنه لا طاقة له في إنشاد هذه القصيدة لولا وجود إلهام من شيخه وقرة عينه إبراهيم.

جمع القصائد:

فهي مجموعة من القصائد سميت بـ(فرح الأحبة) سماها بذلك تلامذة الشيخ بعدما جمعوها في مكان واحد فوافق الشيخ على التسمية.

وهي قصائد في المدح والترحيب والرثاء، أشعار قيل في مناسبات مختلفة، وفي أوقات متفرقة، وفي أماكن متباينة.[1]

طريقة الشاعر في كتابة شعره:

سبق أن ذكر الباحث في الفصل الثاني أن هذا الشاعر قد فقد بصره في وقت مبكر من حياته، فقد يطرأ في ذهن القارئ سؤال عن كيف يكتب هذا الشاعر الضرير أشعاره؟

فالجواب هو: كان الشاعر يجمع القصيدة أولا في صدره ثم يدعو إليه الكاتب فيملى عليه القصيدة.

كتّاب الشاعر:

كان للشاعر كتّاب أمناء يتولون كتابة ما يمليه عليهم من أشعاره، بعضهم أصدقاؤه وبعضهم من أقربائه وبعضهم من تلامذته، ومن أشهر كتَّابه:-

1-الشيخ محمد الثالث مصطفى فنتوا (Funtua) الحافظ.
2-المعلم لبو (Labo) الحافظ.
3-المعلم محمد السابع.
4-الشيخ نافع مِنَا (Minna) ولاية نيجر (Niger).
5-المعلم محمد تُكر.

الباعث إلى جمع القصائد[2]:

فالسبب الذي أدى إلى جمع هذه القصائد من أول وهلة هو أن المعلم محمد المجتبى طلب أن يجمع له هذه القصائد فجمع له في

---

[1]- مقابلة شفهية مع المعلم محمد تكر في بيته، يوم الخميس 2016/02/25م، وذلك في الساعة العاشرة صباحا.

[2]- مقابلة شفهية مع المعلم محمد تكر في بيته، يوم الخميس 2016/02/25م، وذلك في الساعة العاشرة صباحا.

المرة الأولى أربع قصائد، ثم جمع بعد ذلك الباقي، والذي تولى جمع القصائد هو المعلم محمد تكر تلميذ الشاعر وصهره.

كانت قصائد الشيخ خليل كلها بالعربية إلاّ قصيدة واحدة أنشدها بلغة (هوسا) يرحب فيها بشهر مولد النبي ﷺ وسماها لاَلَيْ وَتَنْ اَلْخَيْرِ (Lalai Watan Alkhairi).

الفصل الثالث: الدراسة النظرية للقيم الفنية

المبحث الأول: مفهوم الدراسة الفنية:

الفنية، كلمة مشتقة من الفن ومعناه في اللغة: الحال والضرب من الشيء.[1]

أما المعنى الاصطلاحي "للفن" فيختلف باختلاف آراء العلماء فيه، وذلك منذ فلاسفة اليونان إلى من بعدهم.

يقول أفلاطون من الفلاسفة القدامى: "الفنّ تقليد أو محاكاة للطبيعة".[2]

وعرف الدكتور محمد النويهي "الفنّ" بقوله: "الفن هو الانتاج البشري الذي يعبر عن عاطفة منتجة نحو الوجود وموقفه منه تعبيرا منظما مقصودا يثير في متلقيه نظير من آثاره الوجود في منتجه من عاطفة وموقف".[3]

---

[1] - الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1983م)، القاموس المحيط، دار الفكر، ج: 4، ص: 256.

[2] - شلتاغ عبود شراد (1998م)، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة محمد لادي، ص: 9.

[3] - المرجع السابق، ص: 13.

ويعني الدكتور النويهي بهذا التعريف أن "الفن": هو ما ينتجه الإنسان أو الفنان من تعبيره الصادر عن عاطفته ويثير عاطفة متلقيه ووجدانه.

الفنان ومميزاته:

الفنان: هو الشخص الذي يتميز بدقة الإدراك الحسي والتصوف والتخيل، والحساسية العالية في الشعور والوجدان، والتجارب الواسعة للمختبرات الشعورية واللاشعورية، وتحويل هذه التجارب إلى آيات فنية جميلة،[1] ويتميز بميزتين:

1-أن إحساسه أشد إرهافا وانفعاله أقوى وأعمق من غير الفنانين.

2-عنده القدرة على نقل عاطفة في نوع من الأداء يثير فينا نظيرها.

أنواع الفنون:

تتنوع الفنون أولا إلى نوعين، هما: فنون مفيدة نافعة مثل التجارة والحدادة وغيرهما، وفنون جميلة والمراد بها الجمال وتسمى بالفنون الجميلة، وهي:

1-الموسيقى.

2-الأدب (الشعر، القصة، المسرحية).

3-الرقص.

4-الرسم (وهو ما استخدم فيه القلم أو الفحم فقط).

5-التصوير (وهو ما استخدمت فيه الألوان والأصباغ).

6-النحت.

7-العمارة.[2]

وتتنوع الفنون ثانيا إلى سمعية وبصرية، فالسمعية هي التي تدرك بالسمع وهي الموسيقى والأدب، والبصرية هي التي تدرك بالعين، وهي الرسم والنحت.

---

[1] - المرجع السابق، ص: 15.

[2] - شوقي صيف (الدكتور) (بلا تاريخ)، في الأدب والنقد، دار المعارف، ص: 71.

وبمعنى آخر، تتنوع الفنون إلى: فنون حرفية تتصل بالصناعة والزراعة والنجارة والحدادة والبناء وغيرها، أصحابها يطلق عليهم اسم "الصناع".

وفنون جميلة أو رفيعة، وذلك لتساميها، ورقيها في التعبير عن الجمال وتمثيلها ومحاولة تجسيده، أو الكشف عن العواطف والمشاعر إزاءه وترجمتها عن مدى تفاعله مع النفس، كالرسم والنحت والتمثيل والموسيقى والأدب بأنواعه وأصحابه يطلق عليهم اسم "فنون" و "فنانون".

مواد الفنون:

تختلف الفنون سمعيتها وبصريتها في المواد التي تستعمل عند صناعتها، إذ كان الرسم مواده الأقلام المختلفة الألوان، ومواد الموسيقى النغمات والأصوات، ومواد الأدب الألفاظ والجمل وهكذا المواد تختلف باختلاف الصناعات الفنية.

غايتها:

تتفق الفنون جميعا في غايتها وهي (الجمال) إذ كان هدف كل فنان في صناعته الوصول إلى الجمال.

وذهب شلتاغ إلى أن للفن غاية مباشرة وهي التأثير في النفس بإيقاظ الخيال وتحريك الوجدان أو توجه العاطفة عن طريق الإدراك الحسي، وغاية مباشرة وهي نقل الإنسان إلى المثل العليا وتنمية ذوقه الفني.[1]

معيارها:

وتتفق الفنون أيضا في معيار الحكم عليها وهو (الذوق)، غير أن الناس كانوا مختلفين فيه حيث لكل واحد ذوقه الخاص لا

[1]- شلتاغ عبود شراد (1998م)، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة محمد لادي، ص: 12.

يتساوى فيه مع غيره، وكل يدرك بقدر ذوقه الذي يختص به ويتميز به عن أذواق الآخرين.

مع أن هناك خلاف بين أصحاب الفلسفة الجمالية في موضوعية الجمال وذاتيته، فذهب البعض إلى أن الجمال موضوعي، وقال آخرون إنه ذاتي.

أما الذين قالوا بموضوعيته فقد رجعوه إلى ما تتضمنه الأشياء الجميلة في الطبيعة والفنون من تناسب وتوازن في الأجزاء وعلاقاتها.

أما الذين يأخذون بفكرة الذاتية في الإحساس وإدراك الجمال في الفنون قالوا: "إن الناس يختلفون في هذا الإحساس بل إن الشخص الواحد يختلف إحساسه إزاء شيء جميل معين باختلاف مراحل عمره، فما قد يعده جميلا في الصبا أو الشباب لا يعده جميلا في الكهولة أو الشيخوخة".[1]

فإن كانت الأذواق تختلف في الشخص الواحد على اختلاف مراحل حياته فمن باب أولى أن تكون مختلفة في الناس على اختلاف أحوالهم.

ومعنى الذوق في اللغة: علاج الأشياء باللسان للتعرف على طعمها والوقوف على مذاقها الخاص.[2]

فانتقلت الكلمة إلى دائرة الفنون الجميلة لتدل على الملكة أو الموهبة الفطرية التي يدرك بها الإنسان ما في الآثار الفنية من جمال وكمال أو ما فيها من نقص أو رداءة فعرفت بتعاريف مختلفة، منها:

الذوق: وهو الاستعداد الفطري، أو الموهبة الإلهية التي يستطيع الإنسان عن طرقها أن يتذوق الفن ويميز جيده من رديئه،[3] وملكة الذوق مركبة من العقل والحس والعاطفة والذكاء.[1]

---

[1] - شوقي صيف (الدكتور) (بلا تاريخ)، في الأدب والنقد، دار المعارف، ص: 80.

[2] - حسن ذكري حسن (بلا تاريخ)، النقد الأدبي عند العرب، (بلا مكان الطبع)، ص: 34.

[3] - المصدر السابق.

جمالية الفن:

ترجع جمالية الفن إلى قضية اللفظ والمعنى أو الصورة والمضمون أو الشكل والمحتوى، وهي ثورة نقدية أثارها الجاحظ حيث يفضل اللفظ على المعنى فيرفع من شأنه ويغض من شأن المعنى، يقول الحافظ في الصدد: "والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفه العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"[2].

وافق الجاحظ كثير من النقاد على رأيه ففضلوا اللفظ على المعنى، منهم أبو هلال العسكري وعلي بن عبد العزيز الجرجاني وابن خلدون وغيرهم.

وخالفه آخرون ففضلوا المعنى على اللفظ، بيد أن هناك فريق آخر أخذوا موقفا وسطا لم يفضلوا اللفظ على المعنى ولا المعنى على اللفظ، بل يرون أن المعاني والألفاظ يعتمد كل منهما على الآخر، ولا يمكن الفصل بينهما، فابن رشيق من الذين أخذوا هذا الموقف، حيث يقول: "اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته..."،[3] واستمر يشبه ضعف اللفظ بضعف الجسم وما يعتريه من العرج والشلل وأشباهما، فإن نقص للشعر مهما سلم المعنى، وكذلك ضعف المعنى واختل بعضه فإنه يخل باللفظ ويؤثر فيه، فإن شأنهما شأن الجسم بالروح تماما في احتياج كل منهما إلى صاحبه، لا يمكن الفصل كما لا يمكن الفصل بين الجسم والروح.

---

[1]- شلتاغ عبود شراد (1998م)، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة محمد لادي، ص: 65.

[2] - شوقي ضيف (الدكتور) (بلا تاريخ)، البلاغة تطور وتاريخ، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف، ص: 52.

[3] - عبد القادر القط (بلا تاريخ)، مفهوم الشعر عند العرب، دار المعارف، ص: 169.

واختلف في ذلك أيضا آراء العلماء الفلاسفة عند الإجابة عن تساؤلات تساءل عنها كانط، وهيجل وشو بنهور، وجويو، وكروتشه فقالوا: "ما الجمال الذي نراه في الأشياء المحسوسة؟ وما الشعور الذي يتولد فينا إزاءه؟ وما التأثيرات التي تنبع منه في وجداننا الجمالي؟"[1].

فاتحة كل من كانط وهيجل وكروتشه بإجابته إلى نظرية الشكل والمضمون، ذهب كانط في تفضيله جانب الشكل على جانب المعنى وقال: "إن الجمال في الكون وفي الفنون لا يبتغى غاية سوى اكتماله وانسجامه الذاتي وكان الجمال إنما يرجع إلى الصورة وليس للمضمون فيه أي دخل، إنما الدخل كله للناحية الفنية الصرفة".[2]

أما "هيجل" فيقول: "إن الفن إنما هو إدراك الروح الحسي للمثل الأعلى للجمال في صوره المختلفة، وهو لا يتمثل في المادة وحدها بل يتمثل فيها وفي المضمون فضله في الجمال الفني".

وتبعه في ذلك "كروتشه" وتكلم كلاما طويلا وقال في آخر كلامه: "وإذن فالتعبير هو الفن وهو الجمال، وهو تعبير باطني داخلي، تعبير يتجسد في أشكال مختلفة ولكن بين الأشكال والمضامين، فهي جميعا شيء واحد، شيء ذهني أو صور ذهنية ترتسم في بصيرة الفنان وبصائرنا، ومن أن نفضل بينهما فنقول: شكل ومضمون أو لفظ ومعنى، فهما جميعا تعبير عضوي لا ينفصم فيه اللفظ عن المعنى ولا القالب عن المضمون، وهو تعبير ينطبق عليه ما ينطق على الكائنات العضوية من قوانين".[3]

الصلة بين الفن والأدب:

فالعلاقة بين الفن والأدب علاقة الجزء مع الكل، ذلك لأن الأدب جزء من الفن، وهو -أي الأدب-من الفنون الجميلة غير

---

[1] - شوقي ضيف (الدكتور)، في النقد الأدبي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، ص: 77.

[2] - شوقي ضيف (الدكتور)، في النقد الأدبي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، ص: 78.

[3] - المرجع السابق، ص: 80

أنه يختلف عنها في وسيلته وأدته (اللغة)، والأدب فن رفيع من القول يترجم عن الشعور ويعبر عن الأحاسيس وينبعث عن العاطفة كسائر الفنون الجميلة.[1]

وهما يشتركان في الغاية، وهي في الفنون واحدة، وهي إظهار ما في الكون من جمال، فالمصور والنحات والأديب والموسيقى كل هؤلاء صناع مهرة يقدمون آثارهم للناس في ثياب ساحرة تسترعى ألبابهم.[2]

بين الفن والعلم:

فالمعارف الإنسانية تختلف باختلاف قوى النفس البشرية الموصلة إلى تلك المعارف، فما يعرفه الإنسان بالنظر العقلي والاستدلال المنطقي يسمى "فلسفة".

وما يتوصل إلى معرفته بالمشاهدة الحسية من خلال التجربة الواقعة كالطبيعة والرياضيات وغيرها من العلوم التجريبية يسمى "علم"، وأما ما يدركه الإنسان بذوقه وحسه ويتعرف عليه من خلال شعوره ووجدانه فهو "فن"،[3] إلاّ أن هناك ألوان من المعرفة يصدق عليها (العلم) و (الفن) معا، مثل الهندسة والطب والأدب والتربية وغيرها، فبالنظر إلى جوانبها النظرية فهي (علم)، وبالنظر إلى جوانب العلمية التطبيقية فهي (فنّ).[4]

ويمكن الفرق بين العلم والفن في أن الفنان يتخذ من عواطفه وأحاسيسه المتلاحقة معراجا يحاول من خلاله العروج إلى عالم أفضل، وأما العالم فيمشي مستنيرا بمصباح عقله وفكره ليكشف له ضوء حقائق الأشياء.[5]

---

[1] - حسن ذكري حسن (2004م)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، ص: 11.

[2] - شوقي ضيف (الدكتور) (بلا تاريخ)، في النقد الأدبي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، ص: 71.

[3] - حسن ذكري حسن (2004م)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، ص: 11.

[4] - المرجع السابق، ص: 10.

[5] - المرجع السابق.

المبحث الثاني: الدراسة النظرية للأغراض الشعرية:

الأوزان، جمع وزن ويقال "البحر" وهو الانسجام الموسيقي أو (حدة النغم) في الشعر، ويتألف من مجموعة وحدات إيقاعية يطلق عليها اسم "التفعيلات".[1]

وأصل وزن الشعر مأخوذ من توقيع سير الجمال في الصحراء، وتقطيعه يوافق وقع خطاها.[2]

وضع العرب الأوزان والبحور حسب اقتضاء كل منها لحال من الأحوال، بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الرثاء أو الغزل وهكذا، فالبحر الطويل يوافق نظم الشعر الحماسي ويوافق الوافر الفخر، والرمل الحزن والفرح ويلائم السريع العواطف وقس على ذلك.[3]

تتكون الأوزان الشعرية من أسباب وأوتاد وفواصل على حسب اختلاف حركاتها وسكناتها. وتفعيلات الأوزان عشرة وهي: فعولن، ومفاعيلن، ومفاعلتن، وفاع لاتن، وفاعلن، وفاعلاتن، ومستفعلن، ومفاعلتن، ومفعولات، ومستفع لن.[4]

ومن هذه التفعيلات تألفت بحور الشعر العربي التي حصرها الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري في خمسة عشر بحرًا وزاد عليها تلميذه الأخفش بحرًا واحدا فصار عددها ستة عشر بحرًا، وهي:

1- **الطويل**:

وأجزاءه ثمانية، أربعة في الصدر وأربعة في العجز

---

[1]- برنامج العلوم الإسلامية والأدبية (1408هـ - 1988م)، البلاغة والنقد، المقرر الثالث، الطبعة الثانية، ص: 78.

[2]- جرجي زيدان (بلا تاريخ)، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، ج: 1، ص: 59.

[3] - المصدر السابق، ص: 60.

[4]- أحمد الهاشمي، السيد (بلا تاريخ)، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الفكر، ص: 11-10.

فعلولن مفاعيلن فعلولن مفاعيلن * فعلولن مفاعيلن فعلولن مفاعيلن

2-**المديد**: وأجزاءه ستة، وهي:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

3-البسيط وأجزاءه ثمانية، وهي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

4-الوافر، وأجزاءه ستة، وهي:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن * مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

5-الكامل، وأجزاءه ستة، وهي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن متفاعلن

6-الهزج، وأجزاءه أربعة، وهي:

مفاعيلن مفاعيلن * مفاعيلن مفاعيلن

7-الرجز وأجزاءه ستة، وهي:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

8-الرمل، وأجزاءه ستة، وهي:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

9-السريع، وأجزاءه ستة، وهي:

مستفعلن مستفعلن مفعولات * مستفعلن مستفعلن مفعولات

10- المنسرح، وأجزاءه ستة، وهي:

مستفعلن مفعولات مستفعلن * مستفعلن مفعولات مستفعلن

11- الخفيف، وأجزاءه ستة، وهي:

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن * فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

12- المضارع، وأجزاءه أربعة، وهي:

مفاعيلن فاع لاتن * مفاعيلن فاع لاتن

13- المقتضب، وأجزاءه أربعة، وهي:

مفعولات مفتعلن * مفعولات مفتعلن

14- المجتث، وأجزاءه أربعة، وهي:

مستفع لن فاعلاتن * مستفع لن فاعلاتن

15- المتقارب، وأجزاءه ثتمانية، وهي:

فعلولن فعولن فعولن فعولن * فعلولن فعولن فعولن فعولن

16- المتدارك، وأجزاءه ثمانية، وهي:

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن * فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن[1]

القافية: هي في اللغة مؤخر العنق،[2] وفي الاصطلاح هي الأصوات التي تتكرر في أواخر الأبيات من القصيدة.[3]

وقيل: هي آخر البيت، سواء أكانت الكلمة الأخيرة على رأي الأخفش مثل كلمة (موعد) في قول زهير:

تزود إلى يوم الممات فإنه * ولو كرهته النفس آخر موعد

أو كما قال الخليل: هي من آخر ساكن في البيت إلى أقرب يليه مع المتحرك الذي قبله.[4]

كان للقافية مكانة سامية وأثر كبير في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى كانت القصيدة العربية تنسب إلى رويها، يقال مثلا: لامية كعب، أي قصيدته التي كان رويها لام كالتي يقول فيها مثلا:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم إثرها لم يفد مكبـــــــــول

غير أن الشعراء في العصر الحديث وجدوا أن القافية الموحدة قيد يغل قدرة الشاعر على التعبير وتمنعه من تصوير عواطفه في حرية، كما أنها تجعل البيت وحدة مستقلة عن غيره مما يجعل التجربة في القصيدة مفككة مبعثرة، لذلك لم يلتزم كثير من الشعراء بالقافية الموحدة، فلجأوا في ذلك إلى إحداث نوع

---

[1] - السيد أحمد الهاشمي (بلا تاريخ)، ميزان الذهب، دار الفكر، ص: 31 – 84.

[2] - المرجع السابق، ص: 98.

[3] - محمد زكي العشماوي وآخرون (1989م)، النقد والبلاغة، الطبعة الحادية عشرة، وزارة التربية بدولة الكويت، ص: 89.

[4] - السيد أحمد الهاشمي (بلا تاريخ)، ميزان الذهب، دار الفكر، ص: 98.

جديد من الشعر سمي بالشعر الحرّ ليتحرروا من قيود الأوزان والقوافي المعهودة في عصور ما قبل الحديث.

ذلك لأن الشعر الحر شعر حطمت فيه حدود القوافي والشطور والأبيات، وأصبح سطورا تطول وتقصر، والبصر ينحدر فيها من بدئها إلى نهايتها دون توقف أو تمهل أو خواتم منتظرة.

الموسيقى الداخلية:

فالشعر العربي نشأ من أول أمره نشأة غنائية، ذلك مما يدل على تأثير الموسيقى فيه وكونها عنصرا مهما من عناصر الأدب، والموسيقى الظاهرة أو الخارجية كان مصدرها الوزن والقافية الخارجية، إذ تنشأ عنهما وحدة النغم أو الانسجام الذي هو أساس الجمال الموسيقي.

أما الموسيقى الداخلية فهي: عبارة عن الإيقاعات والمعطيات الصوتية في الأبيات،[1] أي أنه ينبغي أن يكون بين ألفاظ الأبيات وحروفها وحركاتها وسكناتها تفاعلات صوتية بحيث يكون بينهما توافق صوتي.

والقافية الداخلية تسبق القافية الخارجية مباشرة بغية أن يتردد في البيت إيقاعان متحدان أو أكثر حتى يكون تعبيرها الموسيقي أكثر نفوذا ويكون الشعر أسرع إثارة للوجدان.

ومن أجل التجانس الإيقاعي كانوا يلتزمون قافية واحدة في جميع شطور القصيدة، من أمثلة ذلك قصيدة سلم الخاسر في مدح موسى الهادي، يقول فيها:

موسى المطر غيث بكـــر

ثم انهمـــــــــــــر عدل السير

ويقول أبو العتاهية:

هم القاضي بيت يطرب * قال القاضي لما طولب

[1]- شوقي ضيف (الدكتور)(بلا تاريخ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشر، دار المعارف، ص: 83.

ما في الدنيا إلا مذنب * هذا عذر القاضي واقب[1]

الألفاظ:

جمع لفظ وهو ما يلفظ به من الكلام[2]، ووضع اللفظ للمعنى كما أشار إلى ذلك ابن الحاجب في تعريف اللغة وقال: "حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى".[3]

وقال الأسنوي: اللغات: عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني.[4]

كما أنه لا يلزم أن يكون لكل معنى لفظ، يقول الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه: "لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ لأن المعاني التي يمكن أن تعقل لا تتناهي، والألفاظ متناهية، لأنها مركبة من الحروف والحروف متناهية والمركب من المتناهي والمتناهي لا يضبط ما لا يتناهى".[5]

أما علاقة الألفاظ بالمعاني ففيها كلام طويل بين العلماء في ثورة نقدية أثارها الجاحظ ففضل اللفظ على المعنى وتبعه في ذلك آخرون.

يقول ابن رشيق: "وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، سمعت بعض الحذاق يقول: قال العلماء: اللفظ أغلى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة وأعز مطلبا، فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك وصحة التأليف".[6]

---

[1] - شوقي ضيف (الدكتور)(بلا تاريخ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشر، دار المعارف، ص: 73.

[2] - شوقي ضيف (الدكتور)، فصول في الشعر ونقده، الطبعة الثالثة، دار الفكر، ص: 314.

[3] - مجمع اللغة العربية (2006م)، المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية، ص: 560.

[4] - السوطي، جلال الدين (911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، القدس، ص: 31.

[5] - السوطي، جلال الدين (911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، القدس، ص: 31.

[6] - عبد القادر القط (1982)، مفهوم الشعر عند العرب، دار المعارف، ص: 170.

الأغراض:

فالأغراض جمع غرض، وهو الهدف الذي يرمى إليه.[1] وغرض الشاعر هو هدفه الذي يرمي إليه بشعره من مدح أو هجاء أو فخر بنفسه أو بقبيلته أو بأسرته أو غير ذلك من المفاخر، أو وصف شيء كالليل والناقة وغيرهما.

وقد نظم شعراء العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر على قلوبهم مما يلائم بيئتهم ونشأتهم فكثرت لذلك أغراضهم الشعرية منذ العصر الجاهلي وما تبعه من العصور الأدبية.

1-**المدح:**

هو الثناء على الإنسان بصالح[2]، أي الثناء على الإنسان بصالح أعماله أو حسن أخلاقه كالعدل والعفة والشجاعة أو محاسنه الخلقية مثل الجمال وبسطة الجسم.

ازدهر هذا الفن الشعري وخاصة عند الشعراء الذين يتخذونه أداة للتكسب.

2-**الرثاء:**

فالرثاء: هو البكاء على المبيت وتعداد محاسنه.[3] كان الشعر في هذا الفن من الشعر يعدون مناقب الميت، ويذكرون محاسنه، وكانوا يظهرون التفجع والتلهف على موته ويستعظمون المصيبة في فقده.

ولم يكن فنّ الرثاء يختص بالناس فقط، بل شمل المدن والممالك البائدة كما ظهر عند شعراء الأندلس، حيث بكى كثير منهم على الدول التي دكها المحن، وعفى عليها الزمان.

3-**الترحيب:**

كان الترحيب من الفنون التي خاض الشاعر غمارها ولكن الباحث لم يقف على أصالته منذ العصر الجاهلي أو بعد ذلك

---

[1]- مجمع اللغة العربية (2006م)، المجم الوجيز، جمهورية مصر العربية، ص: 448.

[2] - مجمع اللغة العربية (2006م)، المجم الوجيز، جمهورية مصر العربية ، ص: 575.

[3]- المرجع السابق، ص: 255.

بقريب من الزمن، ولعل سبب ذلك يرجع إلى قلة زاده ولكن يرى الباحث أنه من الفنون التي استخدمها علماء غرب إفريقيا لاستقبال ممدوحيهم وخصوصا المشايخ الكبار.

الوحدة العضوية:

وهي تماسك القصيدة وترابطها فكرا ووحدانا، وتتمثل في النص من خلال وحدة الموضوع بحيث تتجمع الأبيات تحت أفكار رئيسية وتندرج الأفكار تحت موضوع واحد يمثل عنوان النص وتتمثل-أيضا-في وحدة الوجدان والعاطفة، حيث تتناسق الأحاسيس مع المواقف على امتداد القصيدة دون تناقض واضطراب.[1]

ويقول الدكتور شوقي ضيف في معنى الوحدة العضوية: "إنما هي بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنى، إنما هي عمل تام كامل ينقسم إلى وحدات تسمى أبيات، ولكن كل بيت خاضع لما قبله لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط في النسيج، يدخل في تكوينه ويساعد على تشكيله".[2]

فالوحدة العضوية لم تتضح وضوحا تاما في القصائد العربية إلاّ في العصر الحديث، ذلك لكون الشعراء في العصور الوسطى يتقيدون بالمنهج الذي وضعه شعراء العصر الجاهلي، حيث تتضمن القصيدة موضوعات مختلفة لا تربط بينها رابطة قريبة، فالشاعر يفتتح قصيدته بذكر الأطلال، وديار الأحبة، ثم يستطرد إلى موضوعات أخرى من وصف الصحراء والوحوش أو وصف الليل والفرس حتى إذا انتهى من هذا الوصف انتقل إلى غرضه الأساسي من مدح أو هجاء أو رثاء أو فخر أو غير ذلك من الأغراض الشعرية المقصودة.

---

[1] - محمد زكي العشماوي وآخرون (1989م)، النقد والبلاغة، الطبعة الحادية عشرة، وزارة التربية بدولة الكويت، ص: 96.

[2] - شوقي ضيف (الدكتور) (بلا تاريخ)، في النقد الأدبي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، ص: 153.

فكل بيت في القصيدة الجاهلية وحدة قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها، قلما تظهر صلة وثيقة بين بيت سابق ولاحق بخلاف القصيدة التي كانت تسودها الوحدة العضوية حيث يكون كل بيت نتيجة أو خاتمة كسابقه ومقدمة للاحقه.

العاطفة:

العاطفة: حالة وحدانية تعرض للقلب كالحب والبغض والفرح والحزن والإعجاب والاشفاق ونحو ذلك.[1]

وقيل: العاطفة: هي الحالة الوجدانية التي يشترك الناس فيها جميعا مما يسمونه حزنا أو فرحا أو خجلاً وما إلى ذلك،[2] مع علم الأقدمين بالعاطفة فإن اسمها لم يستعمل في الأدب العربي إلاّ حديثا، فتجد في كلامهم مثل كلمة عشق أو الرغبة أو الرهبة، ولا تكاد تجد فيه كلمة (العاطفة) لأنها تستعمل لمصطلح لم يخترع إلاّ في العصر الحديث.[3]

فالعاطفة مصطلح يشترك فيه الناس جميعا ذلك لأن الإنسان كثيرا ما تجده في حزن أو فرح أو غضب أو حب أو إعجاب بشيء أو غير ذلك مما تجذبه إليه عواطفه التي يتقلب فيها دائما، وما يصحب هذه العواطف من حركات ومظاهر مادية كأن تجده يضحك عند الفرح أو الإعجاب، وتجده يبكي عند الحزن أو الغضب أو يصفر وجهه عند ذلك أو يحمر. ومن العواطف ما يتعلق بالفرد ذاته، ومنها ما يتعلق بالجماعة والقوم والإنسانية.

والعاطفة هي التي تميز النصوص الأدبية عن النصوص العلمية، لأن الشاعر أو الأديب يتأثر بحقيقة من حقائق الكون والحياة أو يتأثر بموضوع من الموضوعات ويؤثر في نفسه

[1] - حسن ذكري حسن (2004م)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، ص: 41.
[2] - شوقي ضيف، (بلا تاريخ)، في الأدب والنقد، دار المعارف، ص: 13.
[3] - حسن ذكري حسن (2004م)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، ص: 41.

تأثيرا قويا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره وأحاسيسه تعبير يؤثر في نفوس سامعيه فتنفعل به عواطفهم في حين أن النصوص العلمية لا تراعى فيها إثارة العواطف، بل يراد منها إيصال العلوم والحقائق إلى قلوب المتلقي بغض النظر عن إثارتها لعواطفهم.

ويتحدث النقاد عن المقاييس التي تقاس بها العاطفة في الآثار الأدبية وذكروا منها ما يلي:-

1- أن تكون صادقة ومعبرة عن معاناة قائلها بحق، معنى ذلك أن الأديب لم يفتعل التجربة، بل خاضها بصدق وعبر عنها بصدق، وقد استطاع أن ينقل إلينا هذا الصدق ويحدث أثره في نفوسنا.[1]

2- سمو العاطفة ونبلها: فكلما كانت العواطف سامية نبيلة متعلقة بأهداف الإنسان العليا، اكتسب الخلود، وتركت آثارها النفس البشرية.[2]

3- الاتساع والشمول: بحيث تشتمل مشاعر الناس جميعا، فيخرج بها الشاعر من دائرة الذاتية الضيقة إلى المجال الإنساني الرحب، حتى يتعاطف الناس معه ويشاركونه فيما يعبر عنه من مشاعره وأحاسيسه.[3]

الخيال:

الخيال: هو الصور التي يختلفها العقل ويؤلفها من إحساسات سابقة.[4] وقيل: الخيال: هو الكوة التي نستطيع بها أن نتصور الأشخاص والأشياء والمعاني ونمثلها شاخصة أمام من نخاطبه ونستثير مشاعره.[5]

---

[1] - شلتاغ عبود (1998م)، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، ص: 29.
[2] - المرجع السابق، ص: 30.
[3] - حسن ذكري حسن (2004م)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، ص: 42.
[4] - شوقي ضيف، (بلا تاريخ)، في الأدب والنقد، دار المعارف، ص: 19.
[5] - أحمد أمين (بلا تاريخ)، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ص: 27.

وقيل: هو العنصر الذي يلجأ إليه الأديب ليعبر من خلاله قوة العاطفة لديه ويصف حرارة شعوره، ومقدار تأثره بموضوعه.

فالخيال أداة يستخدمها الأديب لإظهار مشاعره وأحاسيسه، ولإثارة نفوس المتلقين لتشارك أحاسيسهم ومشاعرهم أحاسيس الأديب ومشاعره.

ويعمل الخيال في تجلية الأفكار وتوضيح المعاني التي تحتاج إلى إبانة في الصورة أو إبانة في الوجدان، وهو ضرورة شعرية، وهو وليد العاطفة فكلما كانت العاطفة قوية صادقة جاء الخيال قويا مؤثرا ومعبرا عنها خير تعبير[1]، أي أنه كما يستمد قوته منها وهي تسيطر على تكييف ما يختزنه عقل الأديب من الصور والتجارب والقراءات وسائر أنواع المحسوسات.

الأفكار:

الفكرة أو المعنى أو المضمون أو المحتوى عنصر كبير من عناصر الأدب، وقد تناول هذا البحث شيئا من آراء العلماء حول قضية اللفظ والمعنى في الحديث عن الألفاظ، سيميل الباحث هذا إلى استيراد شيئا مما ذكر من مقاييس المعنى وأهميتها، ومن مقاييسها ما يلي:

1- الصحة:

ومعنى ذلك أن المعنى الشعري يعرض حقائق لها علاقة بالإنسان وبحياته وبالتاريخ والعلم وتكون الحقائق صحيحة غير متناقضة، كما أنه في بعض الأحايين يوحي بالمعاني والحقائق على عكس ذلك.

2- التجديد والابتكار:

[1] - حسن ذكري حسن (2004م)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، ص: 45.

ولا يشترط النقاد أن تكون المعاني والأفكار التي يعرض لها الأديب جديدة مبتكرة، لم يتناولها أحد من قبله، ولكن الجدة والابتكار يتمثل في صياغة هذه المعاني.[1]

فالمعنى الواحد يتعاوره الشعراء فينظر كل واحد منهم إلى جانب من هذا المعنى غير ما نظر إليه شاعر آخر بعد ما أسبغ عليه من عاطفته وأفاض عليه من خياله وفنه فيولد منه فكرة لم تكن في نظر شاعر آخر.

3- السعة والعمق:

لا عيب في الشعر إذا عبر عن معان فلسفية، أو عرض لتجارب من الحياة عميقة، وألبسها من سفافتيه وروحه الشيء يجعلها معان شعرية وليست معان فلسفية مجردة.[2]

4- الوضوح والغموض:

كان هذا المقياس من المقاييس لم يتفق عليها في النظريات القديمة والحديثة.[3]

الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية في القصائد

[1]- حسن ذكري حسن (2004م) (بلا تاريخ)، النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثانية، (بلا مكان الطبع) ص: 47.

[2] - شلتاغ عبود (1998م)، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، ص: 44.

[3] - المرجع السابق.

المبحث الأول: أغراضه الشعرية:

1-القصيدة الأولى، نظمها الشاعر ترحيبا بقدوم الشيخ أبي بكر سِرِنْبَيْ إلى قرية "طَنْدُمي" وذلك في عام 1391ه.

سرد القصيدة:

أَهَلاً بِطِبِّ يُبْرِءُ ٱلأَسْقَامَا تَذْكَارُهُ فِي ٱلْقَلْبِ وَالآلاَمَا
أَهْلاً بِأَوَّلِ مَن تَلَقَّى السِّرَّ مِنْ غَوْثِ ٱلْبَرَايَا شَيْخِنَا بَرْهَامَا
أَهْلاً وَسَهْلاً بِالَّذِي نَفَحَاتُهُ إِنْ أَمَّ أَرْضًا عَمَّتِ ٱلأَقْوَامَا
أَهْلاً وَسَهْلاً مَرْحَبًا مَنْ جَوْلاَتِهِ أَنْ يَرْفَعَ ٱلإِسْلاَمَا
مُقْتَضَى لِلَّذِي أَتَاهُ يَطْلُبُ ٱلإِنْعَامَا
مَنْ خِيمُهُ ٱلإِحْسَانُ دَأْبًا سِيَّمَا مَا نَالَ غَايَتَهُ الَّذِي قَدْ عَامَا
أَكْرِمْ بِهِ بَحْرًا خِضَمًّا لِلنَّدَى بِحُسَامِـــــــــــــــهِ
أَشْجِعْ بِهِ لَيْثَ ٱلْمَعَارِكِ لَمْ ٱلْبَتَّارِ يَفْـــــــرِي اِلْهَامَا
يَـــــــــــــــزَلْ

أَزْكَى السَّلاَمَيْنِ عَلَى لِ ٱلْمُصْطَفَى مَنْ عَلَّمَ ٱلأَحْكَامَا
أَصْلِ ٱلأُصُو أَرْضَـــــــــــــــــــــــوْا
وَٱلآلِ وَالصَّحْبِ بِقَفْـــوِ نَبِيِّنَا ٱلْعَلاَّمَا
ٱلْحَجَاجِحَـــةِ ٱلأُوْلَى

دراسة القصيدة وتحليلها:

فالقصيدة ميمية تقع في خمسة وأربعين بيتا من بحر الكامل، لم يتبع الشاعر في افتتاحها سنة الشعراء الأقدمين الذين كانوا يفتتحون قصائدهم بذكر ديار الأحبة والبكاء على الأطلال لكنه ذهب مباشرة إلى صميم موضوعه وهو الترحيب، رحب فيها بقدوم صنو صاحب الفيضة التجانية كما سبق.

فقد رحب بالضيف الكريم الذي زار قرية "طَنْدُمي" في السنة الراهنة وشبهه بدواء يشفي الأمراض، ضيف لا تفارق ذكرياته قلب الشاعر حتى في أوقات الشدة والألم، وهذا الضيف هو الشيخ أبو بكر سِرِنْبَيْ الذي وصفه الشاعر بأنه كان أول من

تلقى السر من صاحب الفيضة التجانية الشيخ إبراهيم إنياس، ووصفه أيضا بأنه كان إماما بلغ صيته إلى الأماكن النائية، وأن جميع انتقالاته ورحلاته كانت من أجل رفع مكانة الإسلام ونشره بين الأمم، ثم بين الشاعر أنه من طبيعة ممدوحه إسداء المعروف إلى الناس حتى شبهه في ذلك بالبحر الواسع وبيعد الشاطئ، كما شبهه-أيضا-بالأسد في الشجاعة كما كان من عادة العرب إطلاق اسم الأسد على الرجل الشجاع.

ثم ذهب الشاعر إلى مهمة فقال:

بَتَّارُهُ ٱلعِلْمُ الصَّحِيحُ ٱلهَامُ ... لُ ٱلجَاهِلِينَ فَهَاكُمْ ٱلإِعْلاَمَا
جَهْـ ... ـطَابَتْ سَرِيرَتُهُ حُذُوا
وَلَهُ ٱلخِطَابُ ٱلمُسْتَطَابُ لِكُلِّ ... ٱلأَقْلاَمَا
مَنْ ... ـحُسْنَى تَلاَمِيذًا لَهُ ٱلأَعْلاَمَا
مَا فَاهَ إِلاَّ صَيَّرَتْ كَلِمَاتُهُ الْـ ... ـحَبْرٌ يُفِيدُ بِرَمْزِهِ ٱلأَفْهَامَا
أَدَرَيْتَهُ يَا صَاحِ أَمْ لاَ إِنَّهُ ... مَا فِيهِ تَلْوِيحٌ وَلاَ إِبْهَامَا
لاَسِيَّمَا إِنْ قَالَ قَوْلاً وَاضِحًا ... ـلَّ ٱلخَطْرُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
أَعْنِي بِهِ صِنْوَ الَّذِي لَوْلاَهُ جَـ ... ـوَدَامَا
شَيْخِي أَبُو بَكْرِ الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ ... تَيْمُ ٱلهَوَى إِلاَّ حَوَى مَا
وَرِثَ ٱلهُمَامَ ٱلحَاجَّ عَبْدَ اللهِ ... رَامَا
سَا ... ئِرَ مَا لَدَيْهِ عَلَى يَدَي
لَوْ لَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَهُ ذَاكَ ٱلوَلِي ... بَرْهَامَا
إِذْ حَازَ عِلْمًا لاَ يُضَاهِي طَلَّهُ ... لَكَفَاهُ فَخْرًا بَلْ كَفَى
بَرْهَامَ ... أُسْتَاذَ ... ٱلإِسْلاَمَا
ٱلأَسَاتِـــــــــــــــــــذَةِ ... وَبْلٌ السِّوَى مَنْ فَقْوِهِ
ٱلأُوْلَى ... ٱلهَمَّامَا
حَازُواْ عُلُومًا تَذْهَبُ
ٱلأَوْهَـــــــــــامَا

يبين الشاعر في هذه الأبيات أن العلوم كانت عند ممدوحه سيفا يقطع به جهل الجاهلين، ويذهب عنهم الجهل بكلامه

الحسن، وأنه ما قال قولا إلا كان الأعلام والعلماء الكبار يتعلمون من قوله ويستفيدون منه، وذلك لأنه حبر يفيد برمزه الأفهام، وأنه قد حاز علوما كثيرة حتى لو أن شيخه "الشيخ إبراهيم إنياس" لم يترك بعد حياته خليفة غيره لكفاه ذلك فخرا بل كفى الإسلام.

ثم انتقل الشاعر إلى نقطة أخرى وهي حبه لشيخه وضيفه "الشيخ أبوبكر سِرِنْبَيْ" فقال:

يَكْفِيكَ يَا شَيْخِي بِأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ   إِنْكَارَ صِنْوِكَ قَطّ فَخْرًا دَامَا
وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي أَهْوَاكَ يَا   مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَرْفَعُ ٱلْأَعْلاَمَا
فَاسْأَلْ إِلَهَكَ أَنْ يَمُنَّ لِمَقَـــــــــــــ
بِعَـــــــــــــــــــــــــــودَتِي   رِّ سِرِّ ٱلْخَتْمِ هَذَا ٱلْعَامَا

ي

إلى قوله:

وَلْتَرْضَ عَنِّي مَنْ رِضَاهُ   مِ ٱلعَصْرِ وَٱلْخَتْمَيْنِ لاَ
رِضَى   إِمَا   إِجْمَامَا
إِنْ   صَارَتْ كَمَا لاَ يُوجِبُ
تَـــــــــــــــرْضَ   ٱلإِكْـــــــــــرَامَا
عَنِّي فَالنَّقَائِصُ كُلُّهَا

كفى الشيخ أبابكر سِرِنْبَيْ فخرا في حياته أنه لم يعرض له إنكار أخيه قط كما يكفي الشاعر فخرا أنه ذهب بعيدا في حبه وأشهد الله تعالى على ذلك وطلب الدعاء من شيخه على أن يمن الله عليه بالعودة إلى مقر الشيخ إبراهيم إنياس في "سنغال" ليزوره مرة ثانية، وأن يجعل زيارته هذه طويلة المدة فيكون من خدام دار الشيخ محسني خدمتهم.

واستمر يصف ممدوحه بالأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة التي تحلى بها الممدوح وامتاز بها حتى فاق الأقران في عصره، وقد أشار في أواخر القصيدة إلى أن ممدوحه كان مصباحا منيرا

نوّر الله به العصور والأيام، وبدد به الظلام الذي حلولك في سماء ذلك الوقت، فها هو يقول:

بِسَنَاكُمُ وَسَنَائِكُمْ قَدْ زَيَّنَ ٱلـ مَوْلَى لَيَالِي ٱلعَصْرِ وَٱلأَيَّامَا

وختم قصيدته بالحمد والثناء على الله سبحانه، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وتليها القصيدة الثانية التي رثى بها الشيخ أبي بكر سِرِنْبَيْ، وهي قصيدة لامية نظمها الشاعر في رثاء شيخه وتحتوي على ثلاثة وثلاثين بيتا.

سرد القصيدة:

أَمَعْشَرَ مِلّةِ ٱلجَمِّ النَّوَالِ إِمَامِ ٱلأَنْبِيَا خَتْمِ الرَّسَالِ

وَأَهْلَ طَرِيقَةِ ٱلمَكْتُومِ مِنْكُمْ خُصُوصًا أَهْلَ فَيْضَةِ ذِي ٱلجَمَالِ

سُؤَالٌ مَا لِدِينِ ٱلحَقِّ أَمْسَى كَتِلْكَ أَمِ ٱلعَرُوبَةِ حِينَ عَنْهَا كَثَكْلَي رَاعَهَا فَقْدُ النِّسَالِ

أَمِ ٱلأَطْفَالِ غَادَرَهُمْ أَبُوهُمْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا ٱلحَسَنُ ٱلخِصَالِ

وَأُمُّهُمُ يَتَامَى فِي التَّوَّالِ

إلى أن ختمها بقوله:

صَلاَةُ اللهِ يَتْبَعُهَا سَلاَمٌ عَلَى ٱلهَادِي وَأَصْحَابٍ وَءَالِ

مَدَى أَمَعْشَرَ مِلَّةِ ٱلجَمِّ

قَوْلِ ٱلخَلِيلِ ٱلطَنْدُميّ النَّوَالِ

كما هو معروف أن فن الرثاء في الشعر العربي قديم قدم هذا النوع من الشعر منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، استعمل الشاعر فن الرثاء لتعداد مناقب شيخه ولإظهار الفزع والتفجع على موت أستاذه فبنى في ذلك هذه القصيدة.

افتتح القصيدة بنداء الأمة الإسلامية، أمة محمد ﷺ ثم خص بالذكر أهل الطريقة التجانية وسألهم عن الذي أصابهم فأصبحوا حيارى مفرعين من المرأة التي فقدت أولادها أو التي توفي عنها زوجها، أو مثل الأطفال الصغار مات عنهم أبوهم وماتت أمهم وهم أيتام، فلا شيء أوقع الناس في هذا الفزع الكبير إلا فقد هذا الشيخ الجليل الذي كان يطلب رضا الله في أقواله وأفعاله وسائر أحواله.

فلما كان الأصفياء والأخيار يبكون وتسيل من عيونهم الدموع حزنا على موته فجنة الخلد تفرح وتضحك لفوزها بضيف يسر النازلين بها بقدومه، ودخوله فيها يسر به أهل الجنة.

تلي هذه المرثية القصيدة الثالثة مدح بها أمير كَنُو الشيخ محمد سنوني عبد الله، احتوت القصيدة على اثنين وعشرين بيتا.

سرد القصيدة:

لَكَ ٱلحَمْدُ يَا مَنْ كُلُّ مَا شَاءَ فَعَلْ ... عَلَى مَا وَهَبْتَ ٱلْيَوْمَ مِن جِهَةِ ٱلْفَضَلْ

وَهَبْتَ لَنَا فِي هَذِهِ ٱلأَرْضِ سَيِّدًا ... يَرَاهُ مِنَ اخْيَارِ ٱلْوَرَى كُلُّ مَنْ عَقَلْ

إِمَامًا خَبِيرًا نَاصِحًا ذَا بَصِيرَةٍ ... مُبَارَكَ أَفْعَالٍ لَدَى مَنْ عَلاَ وَجَلْ

وَأَعْـنِي بِـــــهِ هَـــــــــذَا ٱلْهُمَامُ ... خَلِيفَةَ سِـــرِّ ٱلْخَتْمِ فِي كُلِّ مَا حَصَلْ

الَّذِي بَدَا ... أَمِيرَ كَنُو مِن قَبْلِ أَنْ يَطْرَأَ ٱلْخَلَـــــلْ

مُحمدنَا ٱلحَاجَّ السُّنُوسِي الَّذِي غَـــــــدَا

كَفَاهُ إِلَهِي كُلَّ مَا قَدْ أَهَمَّهُ ... إِلَى أَبَدِ ٱلآبَادِ بِٱلْمُصْطَفَى ٱلأَجَلْ

مَدَى قَوْلِ تِلْمِيذِ بْنِ يَعْقُوبَ طَنْدُمي ... لَـــكَ ٱلحَمْدُ يَا مَنْ كُلُّ مَا شَاءَهُ فَعَلْ

هذه القصيدة اللامية كان مطلعها "لك الحمد" افتتحها بالحمد لله والثناء عليه، الذي كان من فضله على الناس بصورة عامة وعلى أهل كَنُو بصورة خاصة وجود هذا الأمير الذي كان إماما خبيرا ناصحا ذا بصيرة، صاحب أعمل الخير، وصفات الكمال، ناصر دين الله بأقواله وأعماله، وليس كل ذلك من أجل حظوظ الدين ونعيمها، ثم سأل الله أن يجزيه خيرا ويبلغه غاية مأموله وهو على ما يشاء قدير.

ننظر بعد ذلك إلى القصيدة الرابعة التي رحب فيها بقدوم الشيخ علي سيسَ إلى نيجيريا.

سرد القصيدة:

مَعَاشِرَ دِينِ ٱلْمُصْطَفَى أَتَانَا لِسَانَ ٱلْفَيْضَةِ وَالطَّرِيقَةِ ٱلأَحْمَدِيَّة

هَنِيئًا لَنَا فَالْخَيْرِ أَم وَعَمَّنَا بِإِتْيَانِهِ ذَا ٱلْعَام عَام ٱلْمُسَرَّة

فَأَهْلاً بِهِ إِذْ جَاءَ نُورًا بِهِ يَزُولُ وَبَحْرًا لِلْعَطَايَا الدّجَى ٱلْجَزِيلَةِ

فَأَهْلاً بِمَنْ تُرْوَى بِهِ الهَيمُ أَتَى وَلَنَا فِي وَصْلِهِ كُلُّ خَيْرُ مَنْ رَغْبَة

فَأَهْلاً وَسَهْلاً مَرْحَبًا ثُمَّ بِسُلْطَانِ خُدَّامِ لِغَوْثِ ٱلْبَرِيَّة مَرْحَبًا نَزيلاً وَمَنْ تِذْكَارُهُ رَوْضُ جَنَّة

وَأَعْنِيكَ مَنْ لَمْ يَرْضَ قَلْبِي وَخَيْرِ قَرِيبٍ مِنْهُ مِنَّا غَيْر بِغَيْرِهِ مِرْيَة

وَأَعْنِيكَ يَا بَابَ ٱلْوُصُولِ حَبَاهُ إِلَهِ النَّاسِ كُلُّ لِغَوْثِنَا ٱلْفَضِيلَـــــــــــــــةِ

وَأَعْنِيكَ يَا مَوْلاَيَ سِيسِ عَلِيُّ مَـــــنْ

إلى قوله:

صَلاَةً وَتَسْلِيمًا مِنَ اللهِ سَرْمَداً عَلَى مَنْ تَمَنَّتْ بَعثهُ كُلُّ مُحمدنَا ٱلْهَادِي الَّذِي جَاءَ مَاحِيًا أُمَّة

عَلَيْهِ مَعَ الآل جَمِيعَ ضَلاَلاَت بِأَقْوَى
ٱلكِـــــــــــرَام وَصَحْبِهِ الشَّرِيعَة
ٱلـ أَفَاضِلَ أَرْبَابَ
التُّقَـــــــــــــى
وَٱلْبَصِيرَة

رحب الشاعر في هذه التائية بقدوم الشيخ عليّ سيس إلى نيجيريا، فسمي عام زيارته عام المسرة لعموم الخير فيه، وشبهه بنور في إزالة الدجى والغياهب، وبالبحر في كثرة العطايا والهبات.

فحمد الله سبحانه وتعالى على مجيء هذا الشيخ الجليل نيابة عن الشيخ إبراهيم إنياس وأمر جماعة نيجيريا بحمد الله وشكره على ذلك لأنه متى نزل بأرض نزلت فيها الخيرات وتنزل رحمة رب العالمين.

فقد وصفه في هذه القصيدة بأنه تقي كريم السجايا ذو الأخلاق الحميدة، وأنه كدواء يشفي العلل والأمراض، وهو من العلماء الذي كانوا ورثة الأنبياء، حيث كانت أفعاله وأقواله اقتداء وتأسيا بأقوال النبي ﷺ وأفعاله.

تلت هذه القصيدة الرابعة ثلاث قصائد كلها ميمية القافية وجميعها في المدح والترحيب يأتي الحسن الشيخ علي سيسَ.

وسوف يقتصر الباحث بسرد طائفة من أبياتها ويلخص عند الشرح والتحليل مضمونها إن شاء الله.

سرد القصيدة:

لَكَ ٱلْحَمْدُ كُلُّ ٱلْحَمْد رَبُّ وَهَبْتَ ذَوِي ٱلأَمْرَاضِ أَشْفَى
ٱلْعَوَالِم ٱلْمَرَاهِمِ
أَتَحْتَ لَنَا مِنْكَ امْتِنَانًا لِقَاءَ مَنْ يَرُومُ وُجُوبًا وَصْلَهُ كُلُّ
وَيَرْغَبُ عَنْهُ كُلُّ غُمْرٍ مُغَفَّلٍ فَاهِمِ
لِأَنَّ الَّذِي أَمْسَى إِمَامٍ تَجَمَّعَ فِيهِ شَرُّ مَا فِي ٱلْبَهَائِمِ
خَدِيمَـــــــــــــــهُ حَوَى كُلُّ مَا لِلْأَوْلِيَاءِ

ٱلأَكَـــــــــــارِمِ

وافتتح الثانية بقوله:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِهَذَا السَّيِّدِ ٱلعَلَمِ حِلْفِ التُّقَى وَالنَّقَى وَٱلْعِلْمِ
أَهْلاً بِمَنْ نَفْعُهُ عَمَّ ٱلأَوْلَى وَٱلْحِكَمِ
عَلِقُواْ بِالشَّيْخِ سِرِّ مُمِدِّ ٱلأَوْلِيَا
أَهْلاً بِأَحَدِ مَصَابِيحَ أَنَارَ بِهَا ٱلْخَتْمِ
أَهْلاً بِمَجْمَعِ بَحْرَيِّ الشَّرِيعَةِ رَبُّ ٱلْعِبَادِ ظَلاَمَ ٱلْجَهْلِ
وَٱلـ وَٱلْوَهْمِ
أَهْلاَ بِمَنْ شُغْلُهُ مَا عَاشَ ـحَقِيقَةِ النَّاصِحِ ٱلْمَشْكُورِ ذِي
خِدْمَةُ مَنْ ٱلْهِمَمِ
خُدَّامُهُ سَبْقُهُمْ نَارٌ عَلَى
عَلَـــــــــــــــمِ

وقال في الثالثة:

أَنَجْمٌ لاَحَ فِي جُنْحِ الظَّلاَمِ لِسَارٍ حَارَ أَمْ بَدْرُ
أَمِ الشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ فِي سَمَاهَا التَّمَامِ
فَدَعْ ذِي كُلَّهَا إِذْ يَعْتَرِيهَا بَدَتْ وَضِيَاءَهَا فِي
فَهَذَا النُّورُ لَيْسَ لَهُ أُفُولٌ ٱلأُفُقِ سَامِ
إِذَا نُورُ أُفُولٌ أَوْ كَتَغْطِيَةِ
ٱلْمَعَـــــــــــــــــــا ٱلْغَمَامِ
رِفِ وَٱلْوِلاَيَـــــهْ وَلاَ يَعْلُوهُ عَالٍ مِنْ
ظَلاَمِ
بَدَا مِنْ شَمْسِ حَضْرَةِ
إِبْرَهَـــــــــــــــ
ـامِ

جعل الشاعر مطلع قصيدته هذه حمدا لله رب العالمين الذي جعل ممدوحه كشفاء للأمراض القلبية يطمع في لقائه كل فاهم ويرغب عنه كل غافل كان مثله مثل البهيمة التي لا تعقل ولا تسترشد لما هو خير.

كانت خدمة ممدوحه تصير العبد سيدا والجاهل عالما يستفيد الناس من شتى الأقاليم، إذ كان حبيب الناس طرا وشجاعا يخافه من هيبته الضراغم.

ثم أهلاً وسهلاً في الثانية بهذا السيد التقي النقي ذي العلم والحكمة، والذي كان مصباحا أنار الله به ظلام الجهل والوهم، والذي ورث العلم والأخلاق الكريمة والصفات النبيلة من شيخه إبراهيم إنياس الذي كان هو باب الولوج إليه.

أما القصيدة الثالثة فشبه الشاعر نفسه فيها بمسافر يسير في دجى الليل وهو حائر، وشبه ممدوحه بنجم أو بدر أو شمس بددت الظلام وأنارت له الطريق بضوئها وهي في أفق السماء بل كان نور ممدوحه أفضل من هذه الأنوار لأنه كان يعتريها الأفول كما جاء في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام أو يغطيها الغمام، أما نور ممدوحه فلا يأفل ولا يعلو عليه ظلام لأنه نور المعارف والولاية وجده من كرامة الشيخ إبراهيم إنياس.

واستمر في مدح الشيخ علي سيس والشهادة له بالخير، وقال إنه لا يخاف في ذلك لومة لائم، وأوصى الناس بذلك لأنه شفاء من أنواع الأسقام.

تلت هذه الثلاثة قصيدة ميمية رحب فيها الشيخ أحمد التجاني ابن الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي.

سرد القصيدة:

أَهْلاً بِخِرْقٍ سَرِيٍّ يَزْدَري جُودًا وَمَا فَاهَ إِلاّ أَنْهَضَ الدِّيمَا ٱلهِمَمَا

أَهْلاً وَسَهْلاً بِشِبْلٍ شَابَهَ ٱلأَسَدَ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَاهُ ٱلأُمَّ مَا ظَلَمَا

أَهْلاً وَسَهْلاً حَبِيبِي مَرْحَبًا بِكَ يَا نَجْلَ الَّذِي خَيْرُهُ مَا زَالَ أَعْنِيكَ أَحَدَ نُجُومِ ٱلإِهْتِدَاءِ مُنْسَجَمَا

وَمَنْ أَعْنِيكَ أَحَدَ كِبَارِ ٱلأَوْلِيَا خَرَجُـــــــــــواْ عِلْمًا وَدِينًا وَإِرْشَادًا غَدَا عَلَمَا مِنْ صُلْبِ خَيْرِ سِرَاجٍ نَوَّرَ الظُّلَمَا

إلى قوله:

فَالْجُودُ مِنْكَ دَوَامًا غَيْرُ مُنْقَطِعٍ كَذَاكَ إِنْ غِبْتَ فَالشَّوْقُ ٱلْمُحَصَّلُ يَا مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِ ٱلْخَتْمِ ثُمَّ سَرَتْ يَا مَنْ حَبَاهُ جَمِيـــــــــــــعَ ٱلْخَيْرِ خَالِقُــهُ إِذْ كَوْنُ جِسْمِكَ مَوْجُودًا يُرَى نِعَمَا مِنْ أَحْلَى خِطَابِكَ لاَ يَنْفَكُّ مُضْطَرِ مَا فِي كُلِّ هَيْكَلِهِ أَسْرَارُهُ فَسَمَا يَا ابْـــنَ الَّذِي فَاقَ كُلُّ ٱلأَوْلِيَا شَمَمَا

احتوت هذه القصيدة على تسعة وثلاثين بيتا رحب فيها بقدوم الشيخ أحمد التجاني بن الشيخ إبراهيم إنياس إلى بلد طَنْدُمي، وصفه بأنه نجم يهتدى به، وعلمٌ في العلم والدين والإرشاد، وهو أحد كبار الأولياء الذين خرجوا من صلب سراج بدد الظلام ونوره، وناصر دين الله عندما تداعت الأمم على الكيدبه، ورافع رايات الطريقة التجانية الذي سقى الناس من فيضها في هذا القرن، وجواد بجود غير منقطع.

وتليها ميمية أخرى في الترحيب بالشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس حين نزوله قرية "طَنْدُمي".

سرد القصيدة:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ فِي حُبِّهِ هَامَا أَصْحَابُ قُطْبِ ٱلْبَرَايَا الشَّيْخِ بَرْهَامَا
أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ عَمَّتْ جَمِيعَ بِلاَ دِ ٱلْقُطْرِ خَيْرَاتِهِ مُذْ أَمَّهَا ٱلْعَامَا
أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ لَقِيَاهُ أَسْرَعُ مَا يَشْفِي ٱلْعَلِيلَ وَيَنْفِي عَنْهُ الآلاَمَا

أَعْنِيكَ نَجْلَ إِمَامِ ٱلعَصْرِ أَتَمَّ إِرْثٍ بِهِ أَصْبَحْتَ وَارِثَهُ ضِرْغَامَا
أَعْنِيكَ يَا حَاجُّ عَبْدُ اللهِ مَنْ نَصَرَ ٱلـ مَوْلَى بِكَ ٱلْيَوْمَ دِينَ ٱلْحَقِّ إِسْلاَمَا

إلى قوله:

إِنَّا لَنَحْمَدُ مَوْلاَنَا وَنَشْكُرُهُ عَلَى وُجُودِكُمُ أَوْلاَدَ بَرْهَامَا
يَا طَنْدُمي ٱلْيَوْمَ حُزْتِ ٱلْخَيْرَ أَجْمَعَهُ فِيكِ تَنَفَّسَ مَنْ للهِ قَدْ قَامَا فِي نُصْرَةِ ٱلْحَقِّ مَنْ لَمْ يَخْشَ لَوَّامَـــــا
شَمْسُ ٱلْهُدَى ٱلْحَاجُّ عَبْدُ اللهِ قِبْلَتُـــــــــنَا

رحب الشاعر في هذه القصيدة بقدوم الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس إلى قرية "طَنْدُمي" الذي أصبح مثل الأسد لما ورث من والده من الشجاعة والعلم وإسداء الخير للناس ونصرة الدين الإسلامي، وبذل الجهد في هداية الناس وإرشادهم إلى ما هو خير، فأحبه الناس كثيرا وخصوصا أتباع الطريقة التجانية، وصفه الشاعر بأنه بحر الندى والعلم والتقوى، وأسدى يخوض الوغى، وسراج يضيء الظلام، شمس الهدى قبلة الأمة.

وتليها أربع قصائد كلها في مدح الشيخ إبراهيم إنياس وسيقتصر الباحث بذكر شيء يسير من أبيات كل واحدة منها ثم يخلص ما مدح به الشاعر ممدوحه في جميع القصائد.

يقول الشاعر في أولى هذه القصائد:

خَلِيلِي إِنْ تَرْتَدْ يَدًا تَزْدَرِي نَدَى وَتُنَسِّى حَاتِمًا إِذْ هُوَ الدِّيَمْ اخْتَرَمْ
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْ جُودِهَا ٱلْكَوْنُ تَعَوَّدَتِ ٱلإِعْطَاءَ وَٱلْكُلُّ فِي كُلُّهُ ٱلْعَدَمْ
كَذَلِكَ وَٱلْمَاحِي الضَّلاَلاَتِ لَن تَرَى لَهَا أَبَدًا غِبًّا إِذِ ٱلْغِبُّ مُنْعَـــــــــــــدِمْ

إلى قوله:

فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ مُرْشِدٍ غَيْرِ مُقْصِرٍ جَزَاهُ إِلَهُ النَّاسِ خَيْرًا غَدَا أَتَمْ

بِهِ عَرَفَ ٱلوَانِي الضَّرِيرُ ابْنُ حَامِدٍ مُمِدَّ جَمِيعِ ٱلكَوْنِ مِنْ شَيْخِهِ ٱلخَتَمْ

مِنَ أَوَّلِ إِنْشَـــــــــاءِ ٱلعَـــــــــوَالِمِ كُلِّهَا إِلَى النَّفْخِ بَرْهَامَ الَّذِي حُبُّهُ حَتَـــمْ

ويقول في ثانيها:

لِرَبِّيَ كُلُّ ٱلحَمْدِ وَالشُّكْرِ سَرْمَدًا عَلَى مَا حَبَا مَنْ حَظّهُ سِرُّ أَحْمَدَا

وَمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ فَلاَ تَرْكَنَنْ أَخِي إِلَى ٱلعَدِّ وَاقْرَأْ كُلُّ صَيْدٍ لِتُرْشَدَا

فَمَا ذَرَّةٌ فَازَتْ بِمَقْسُومِهَا سِـــــــــوَى بِوَاسِطَـــــةٍ مِنْ ذَلِكَ السِّرِّ فِي ٱلجَدَى

إلى قوله:

وَمِن مَّحْضِ فَضْلِ اللهِ أَنْ كُنْتُ مَادِحًا حَبِيبِيَ فِي أَرْضِي وَفِي أَرْضِ مَنْ هَدَى

مُحمد ٱلمَبْعُوثِ بِالذِّكْرِ وَٱلوَرَى عَلَيْهِ مِـــــــــــنَ طَغَا بِهِمُ طِرْفُ الضَّلاَلَةِ وَاعْتَدَى

الرَّحْمَنِ بَـــــــدْءًا وَمَخْتَمًا أَزْيَـــــــــــــدَا صَلاَةٌ وَتَسْلِيمٌ يَكُونَانِ

وقال في ثالثتها:

حَمْدًا لِمَوْلَى ٱلخَلْقِ وَٱلإِيمَانُ ثُمَّ الصَّلاَةُ مَعَ السَّلاَمِ عَلَى النَّبِـ ـيِّ ٱلمُصْطَفَى مَا كُوِّنَ وَالآلِ وَٱلأَصْحَابِ أَرْبَابِ ٱلعُلَـــــــــى وَعَلَى ٱلإِمَامِ ٱلخَاتِمِ الرِّضْـــــــــــوَانُ فِي ضِمْنِ ذَاكَ وَهَكَذَا ٱلإِحْسَانُ

فالقصيدة طويلة لها سبعة وأربعون بيتا، يقول في أواخرها:

إِذَا أَنْتَ شَمْسٌ وَٱلْقُطُوبُ كَوَاكِبٌ أَوْ أَنْتَ سُلْطَانٌ هُمُ ٱلأَعْوَانُ
طُوبَى لِقَوْمٍ قَد دَرَوْكَ وَصَاحَبُو كَ ٱلْيَوْمَ نِعْمَ الصَّحْبُ وَٱلْخُلاَّنُ
بُشْرَى لَهُمْ فَازُواْ بِأَنْفَسِ مَطْلَبٍ وَأَجَلّ مَرْغُوبٍ هُمُ ٱلْخُلْصَانُ

ويقول في آخرتها:

بَدْرٌ تَبَدَّى ذَلِكَ اللآلاَءُ أَمْ ثَغْرُ فَجْرٍ قَدْ تَبَسَّمَ بَعْدَمَا حَتَّى اخْتَفَى فِي ضَوْئِهِ ٱلأَضْوَاءُ
أَمْ نُورُ شَمْسٍ طَالَتْ عَلَيْنَا لَيْلَةٌ دَرْعَاءُ قَدْ تَجَلَّى وَسَطَ السَّمَا فَتَرَاءَتِ صَافِيًا ٱلأَشْيَاءُ

فالقصيدة على اثنين وخمسين بيتا، يقول في أواخرها:

سَرْدِي لَكَ ٱلأَمْدَاحَ دَوْمًا جَاهِدًا لاَ أَخْتَشِي إِذْ دَأْبُكَ كَمْ قَالَ لِي خِلٌّ نَصُوحٌ يَا أَخِي ٱلإِغْضَاءُ
وَيُقولُ إِنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي ءَالَةَ الـ ـشِّعْرَ الَّتِي يَحْتَاجُهَا هَلاَّ كَفَاكَ لِمَدْحِهِ ٱلإِصْغَاءُ
فَأَقُولُ لاَ لَيِّنًا لاَ يُخْتَشَى مِنْ أَجْلِهِ أَنْ تَظْهَرَ ٱلبَغْضَاءُ الشِّعَرَاءُ

مدح الشاعر ممدوحه في هذه القصائد بالصفات الجميلة والأخلاق النبيلة والقيم الفاضلة، مثل كونه جوادا تعود على العطايا والهبات وكونه مشاقا إلى الخير دائما، وشبهه في ذلك بالطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح عليه الصلاة والسلام.

وأنه رفع راية الإسلام ووضع راية الفسق والكفران وأحيا سننا عفاها الجهل والطغيان، وشبهه بالشمس بين سائر العلماء

والأعلام الذين شبههم بالكواكب أو سلطان وهم أعوانه ووزراءه.

وشبهه أيضا بالبدر تبدي نوره حتى اختفى في ضوئه الأضواء وبفجر طلع وليل مظلم فأذهب دوره ظلمة الليل، أو شمس تجلت وسط السماء صافية فصارت الأشياء تتراءى بعد ما كانت مختفية في ظلام دامس، وشبهه كذلك بمسك يفوح منه ريح طيب، وبطيب نزول منه الأدواء والأسقام.

سرد القصيدة:

يَا قَوْمِ هَلْ حَرُمَ ٱلْبُكَاءُ بِأَدْمُعٍ مِنْ فَقْدِ مِصْبَاحِ الظّلاَمِ
شَمْسِ ٱلْهُدَى بَحْرِ النَّدَى مَاحِي ٱلأَلَمَعِ
الرَّدَى حِصْنِ النَّجَاةِ مِنَ ٱلْبَلاَيَا
فَقْدٌ بِهِ حَارَ ٱلأَمْنَعِ
ٱلمَـــــــــلاَ حَتَّى لاَ غَرْوَ إِذْ هُوَ فَقْدُ
ٱلعِـــــدَى غَيْـــــــثٍ أَنْفَـعِ

فالقصيدة على خمسة وخمسين بيتا، قال في أواخرها:

هَذِي ٱلْقَصِيدَةُ قُلْتُهَا مَرْثِيَّةً لِوَفَاةِ سَيِّدِنَا ٱلْهُمَامِ ٱلأَرْوَعِ
قَدْ قُلْتُهَا وَٱلْحَالُ إِنِّي حَائِرٌ لَمْ أَدْرِ مَا حَالِي لِفَرْطِ
لَكِنَّـــــــــــنِي تُوَجُّعِ
يَسَّـــــــــرْتُهَا لِمْ لاَ عِي فِي فُنُونِ ٱلْعِلْمِ غَيْرُ
وَبَـــــــــــا مُوَسَّـــــــــع

رثاء الشاعر ممدوحه في هذه العينية ليظهر فزعه وحزنه وكآبته على فقده لأنه فقد جعل المحبين والأعداء في حيرة ذلك لكونه مثل الغيث يعم الناس جميعا، وأنه طب يشفي القلوب من أقبح الأمراض، فقد بكت لأجله السماء والأرض ومن فيهن.

فقد مات إنسان يعم الناس نفعه، مات إنسان حسن السجايا والناس من سماع أشهر صوته لم يشبعوا، ثم أمر الناس باتخاذ الصبر أقوى مركب لعبور كل بحر للبلايا التي لا بد منها.

سرد القصيدة:

عَجَبًا لِشَمْسٍ غُيِّبَتْ تَحْتَ الثَّرَى أَيَّامَ يَنْفَعُ نُورُهَا كُلُّ الْوَرَى
عَجَبًا لَهَا أَيْضًا بُعَيْدَ مَغِيبِهَا حَتَّى غَـــدَا وَمَعْـــــــــــنًى سَامِيًا فِي الْأَرْضِ أَمْسَى الضَّوْءُ مِنْهَا أَظْهَرَا فِي الْأُفُقِ مُعْجِبَ كُلِّ مَنْ يَكُ مُبْصِرَا

إلى قوله:

بُشْرَى لِطَنْدُمي حَيْثُ كَانَتْ دَارُهُ حَيًّا وَمَيْتًا جَيْرِ
يَا صَاحِ إِنْ تَسْأَلَنْ عَنْ أَوْصَافِهِ حَازَتْ مَفْخَرَا
حَبْرٌ تَقِيٌّ لاَ فَأَصِخْ إِلَى قَوْلِي
يُمَـــــــــــــــــــــــــلُّ وَقَلْبَكَ أَحْضِرَا
حُضُورُهُ مُسْتَقْبِلٌ بِالْبِشْرِ سَائِرَ مَنْ عَـــــرَى

بين الشاعر في هذه القصيدة أن الشيخ عبد الله توفي حين اشتداد حاجته الناس إليه وانتفاعه بعلمه فشبهه بشمس غيبت تحت الثرى أي دفنت الأرض حين كان ينتفعون بنورها، وكان شيخا وقورا زاهد متأسيا بالنبي المصطفى ﷺ وهو حبر تقي لا يسأم الناس بحضوره إليهم، يستقبل الناس بالحفاوة والابتهاج لا يأتيه ذوحاجة الأرجع مستبشر لنيله ما يريده أو ما يرده وهو فرحان، ودعا له في آخرها بالمغفرة والرحمة ولندرته من بعده بالخير.

سرد القصيدة:

إِخْوَتِي الْيَوْمَ غَابَ بَدْرُ التَّمَامِ فِي الثَّرَى سَاعَةَ انْتِشَارِ الظَّلاَمِ
عَجَبًا لِلْقَوْمِ الْأُوْلَى دَفَنُوهُ غَيْرَ أَنِّي قَبِلْـــــــتُ عُـــــــذْرَهُمُ حِـــــــــيـ وَهْوَ نِبْرَاسُ ظُلْمَةِ الْأَوْهَامِ
ـنَ رَضُواْ حُكْمَ أَحْكَمِ الْحُكَّامِ دَفَنُواْ شَمْسَ دِينِنَا الْإِسْـــــــــــــــــــــــلاَمِ

إِذْ رَأَوْا أَنَّ الصَّحْبَ مِنْ
قَبْلِ هَـــــذَا
إلى آخرها.

افتتح الشاعر هذه القصيدة بنداء الإخوة للنعي على وفاة مرثيه الذي شبهه بالبدر في جامع البياض وفي التمام لأن الهلاك إذا أصبح بدرا تم نوره، غاب البدر والظلام منتشر شبه الشاعر هذه الحالة بحالة وفاة مرثيه والناس يحتاجون إلى علمه.

ثم تعجب الشاعر من القوم الذين دفنوه مع كونه نبراسا يضيء ظلمة الوهم والجهل ودواء يبرء الأسقام وعون لهم في أوقات القلق والحزن.

المبحث الثاني: الموسيقى الخارجية والداخلية في القصائد البحور التي عالجها الشاعر:

ومعروف أن العلاقة قوية جدا بين الشعر والموسيقى منذ نشأته إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ووضع له خمسة عشر وزنا ووضع لها أسماءها وما يدخل عليها من تغييرات وتحويرات مما سماه باسم الزحافات والعلل، وترك وزن المتدارك دون اسم فأعطاه تلميذه الأخفش اسما من بعده.

ذكر الدكتور شوقي ضيف أن علماءنا الماضين تعقبوه فلم يجدوا ما يخرج عن تلك القوانين سوى قصائد لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة[1]، أي لا تتجاوز خمس قصائد.

والبحور التي عالجها الشاعر في قصائده ستة، وهي: الكامل في قصيدتين، والوافر في قصيدتين، وبحر الطويل في أربع قصائد، والبسيط في أربع قصائد وبحر الرجز في ثلاث قصائد ثم بحر الخفيف في قصيدة واحدة.

سوف يأتي الباحث بمثال واحد لكل بحر من هذه البحور الستة، كما أنه سيكتفي بتقطيع مطلع القصيدة فقط في كل مثال.

---

[1] - الدكتور شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ص: 41.

الأولى: ميمية الروي، من بحر الكامل، مطلعها وتقطيعه:

مطلع القصيدة:

أَهْلاً بِطِبِّ يُبْرِءُ ٱلأَسْقَامَا * تِذْكَارُهُ فِي ٱلْقَلْبِ وَالآلاَمَا

تقطيعه:

أهلن بطبب بن يبرئل اسقاما

o-o-o- o- -o-o- o- -o-o-

متفـاعلن متفـاعلن متفـاعل

تذكارهـــــــو فلقلب ول آلاما

o-o-o- o- -o-o- o- -o-o-

فعروض هذا البيت وضربه مقطوعان، وفي البيت الزحاف المفرد، إذ كان (الاضمار) وهو تسكين الثاني في مُتَفَاعِلُنْ فتصير مُتْفَاعِلُنْ.

الثانية: لامية الروي، وهي من بحر الوافر، مطلع القصيدة وتقطيعه:

مطلعها:

أَمَعْشَرَ مِلَّةِ ٱلْجَمِّ النَّوَّالِ * إِمَامِ ٱلأَنْبِيَا خَتْم الرّسَالِ

تقطيعه:

أمعشرمل لتل جمل نوالي

o-o- - o -o-o- o- --o--

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

اما ملأن بيا ختمر رسالي

o-o- - o-o-o- o- o-o--

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

فعروض البيت وضربها مقطوعان (مفاعل) فيعوضان إلى (فعولن)، فكما في البيت (القطف)، وهو إسقاط السبب الخفيف وإسكان ما قبله في نحو (مفاعلتن) فيصير (مفاعل) فينقل إلى (فعولن). وفي البيت أيضا (العصب)، وهو تكسين الخامس المتحرك في (مفاعَلَتن) فيصير (مفاعَلْتن).

الثالثة: لامية الروي، قالها في مدح أمير كَنُو الحاج محمد السنوسي وهي من بحر الطويل، مطلعها وتقطيعها:

مطلعها:

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا مَنْ كُلُّ مَا شَاءَهُ فَعَل * عَلَى مَا وَهَبْتَ ٱلْيَوْمَ مِنْ جِهَّةِ ٱلْفَضْلْ

تقطيعه:

لكلحمـ | د يا من كل | لما شا | ء هو فعل

o - -o- - o-o- - o -o - o- - | o- o- - -

فعولن | مفاعيلن | فعولن | مفاعلن

على ما | وهبتليو | ممن جه | هتلفضل

o - -o- - o-o- - o-o-o- - | o- o- - -

فعولـــن | مفاعيلن | فعولن | مفاعلن

عروضة هذا البيت مقبوضة وضربها كذلك مقبوض.

الرابعة: من بحر البسيط، رويها ميم مطلع القصيدة وتقطيعه:

مطلعها:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِهَذَا السَّيِّدِ ٱلعَلَمِ * حِلْفِ التُّقَى وَالنَّقَى وَٱلْعِلْمِ وَٱلْحِكَمِ

تقطيعه:

أهلن وسهـ | لن بها | ذسسييدل | علمي

o- -- o--o- o- o --o- | o-- o -o- -

مستفعلن | فاعلن | مستفعلن | فعلن

حلتتقى | وننقا | ولعلمول | حكمي

o- -- o--o- o- o --o- | o-- o -o- -

مستفعلن | فاعلن | مستفعلن | فعلن

وعروضة هذا البيت تامة مخبونة وهي (فَعُلُنْ) وضربها مثلها.

الخامسة: همزية من بحر الرجز، قالها في مدح الشيخ إبراهيم إنياس، مطلعها

وتقطيعها:

مطلعها:

بَدْرٌ تَبَدَّي ذَلِكَ اللأ لاَءُ * حَتَّى اخْتَفَى فِي ضَوْئِهِ ٱلأَضْوَاءِ
تقطيعه:
بدرنتبـــــد دي ذا لكل لألاء و
o-o- o- o - - o -o- o-- o -o-
مستفعلن مستفعلن مفعولن
حتتختفى في ضوئهل أضواء و
o-o- o- o - - o -o- o-- o -o-
مستفعلن مستفعلن مفعولن
فعروضة هذا البيت وضربها مقطوعان إذ جاء كل منهما على وزن (مفعولن).
السادسة: ميمية رثى بها الشيخ إبراهيم نَهُنْقُوِي، هي من بحر الخفيف، وتحتوي على ثلاثين بيتا، مطلعها وتقطيعها:
مطلعها:
إِخْوَتِي ٱلْيَوْمَ غَابَ بَدر التَّمَام * فيِ الثَّرَى سَاعَةَ انْتِشَارِ الظَّلاَم
تقطيعه:
إخوتليو مغاب بد رتتمامي
o-o--o- o --o-- o- o --o-
فاعلاتـــن مفاعلن فاعلاتن
فثثرى سا عتنتشا رظظلامي
o-o--o- o --o-- o- o --o-
فاعلاتـــن مفاعلن فاعلاتن
فعروضة هذا البيت صحيحة وضربها صحيح مثلها ولكن الجزء الثاني من أجزاء شطري البيت يخالف الترتيب المعروف في بحر الخفيف، الذي هو:
فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن * فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن
فجاء الجزء الثاني من شطري البيت على (مفاعلن) كما هو ظاهر في تقطيعه.
قوافي القصائد:

نبع الشعر العربي من منابع غنائية موسيقية، وقد بقيت فيه مظاهر الغناء والموسيقى واضحة، ومن تلك المظاهر (القافية) لما لها من صلة واضحة بضربات المغنين وإيقاعات الراقصين.

والقافية كما أورد الهاشمي تعريفها في كتابه (ميزان الذهب)[1]، هي في اللغة: مؤخر العنق، وفي اصطلاح العروضيين هي: آخر البيت، وهي على رأي الخليل: من آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله.

أورد الشاعر القوافي المتنوعة في قصائده كما سوف يبين الباحث ذلك بتتبع القصائد على النحو التالي:-

الأولى: التي قالها مرحبا بالشيخ أبي بكر سرنبي يوم قدومه إلى قرية طندمي،

والتي مطلعها:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِطِبِّ يُبْرِءُ ٱلأَسْقَامَا * تِذْكَارُهُ فِي الْقَلْبِ وَالآلاَمَا

ونوع القافية في هذه القصيدة مردوفة موصولة بلين، من القافية المطلقة، لأن ألف المد جاءت بعد حركة مجانسة قبل الروي ويتصلان به.

الثانية: رثى فيها الذي رحب به في الأولى وهو الشيخ أبوبكر سرنبي، ورويها

لام، ومطلعها:

أَمَعْشَرِ مِلَّةِ ٱلجمّ النَّوَالي * إِمَامِ ٱلأَنْبِيَاء خَتْمُ الرسال

فنوع هذه القصيدة مردوفة موصولة بمد مثل: (عماد)، وأما اسمها فمتدارك لتوالي الحرفين المتحركين بين ساكنيها.

الثالثة: هي التي مدح فيها أمير كَنُو الحاج محمد السنوسي عبد الله، يقول في

مطلعها:

---

[1] - الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الفكر، (بلا تاريخ)، ص: 98.

لَكَ ٱلحَمْدُ يَا مَنْ كُلُّ مَا شَاءَهُ فَعَل * عَلَى مَا وَهَبْتَ ٱليَوْمَ مِنْ جِهَّةِ ٱلفَضَلْ

فالقافية مقيدة، في مطلعها عيب من عيوب القافية يسمى (سناد التوجيه)، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد، قال الشاعر من جهة الفضل بفتح الضاد مع كونها في الأصل ساكنة، فاختلفت وجاءت متحركة.

الرابعة: رحب الشاعر فيها بقدوم الشيخ علي سيس، وقال في مطلعها:

مَعَاشِرَ دِينِ ٱلمُصْطَفَى وَٱلطَّرِيقَةِ * أَتَانَا لِسَانَ ٱلفَيْضَةِ ٱلأَحْمَدِيَّةِ

فالقافية هنا مجردة عن الردف والتأسيس، وهي من القافية المطلقة.

الخامسة: ميمية الروي، وتحتوي على أربعة وعشرين بيتا، مدح بها أبا الحسن

الشيخ علي سيس، يقول في مطلعها:

لَكَ ٱلحَمْدُ كُلُّ ٱلحَمْدِ رَبّ ٱلعَوَالِم * وَهَبْتَ ذَوِي ٱلأَمْرَاضِ أَشْفَى ٱلمَرَاهِم

فقافية هذه القصيدة مؤسسة موصولة بمد، وفيها (الرسّ)، وهو حركة ما قبل ألف التأسيس، وهو حركة الراء في (مرَاهم)، وفيها (الإشباع)، وهي حركة الدخيل، والدخيل: حرف متحرك فاصل بين التأسيس والروي، كالهاء في (مراهم).

السادسة: هي ميمية من بحر البسيط، وتحتوي على ثلاثة وثلاثين بيتا، رحب

فيها بأبي الحسن الشيخ علي سيس، وقال:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِهَذَا السَّيِّد ٱلعَلَم * حِلف التُّقَى وَالنّقَى وَٱلعِلْمِ وَٱلحِكَمِ

فقافية هذا البيت مجردة عن الردف والتأسيس، وهي من القافية المطلقة.

السابعة: هي أيضا ميمية، من بحر الوافر على ثلاثة وثلاثين بيتا، مدح بها

الشيخ علي سيس، يقول الشاعر في مطلعها:

أَنَجْم لاَحَ فِي جَنَحِ الظَّلاَمِ * لسَار حَار أَم بَدر التَّمَام

فقافية هذه القصيدة مردوفة موصولة لكون حرف المد فيها أي الألف عند قوله في (التمام) بعد حركة مجانسة قبل الروي ويتصلا به.

الثامنة: قصيدة ميمية من بحر البسيط، تحتوي على تسعة وثلاثين بيتا، رحب

فيها بالشيخ إبراهيم إنياس رحمة الله عليهما، وفتحها بقوله:

أَهْلاً بِخَرْقِ سِرى يَزْدَرِي الدِّيمَا * جُودَا وَمَا فَاه إِلاَّ أَنْهَضَ ٱلهمَمَا

فقافية هذه القصيدة مجردة عن الردف والتأسيس، وأما حركتها فهي (المجرى)، وهو حركة الروي المطلق أي المتحرك الذي يعقبه ألف أو واو أو ياء.

التاسعة: ميمية، من بحر البسيط، تحتوي على ثمانية وثلاثين بيتا، قالها في

الترحيب بالشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس، وقال في مطلعها:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ فِي حُبِّهِ هَامَا * أَصْحَابَ قُطْبِ ٱلبَرَايَا شَيْخُ بَرْهَامَا

ونوع القافية هنا مردوفة موصولة بلين، من القافية المطلقة، لمجيء ألف المد فيها حركة مجانسة قبل الروي ويتصلانبه.

العاشرة: هي ميمية مدح الشاعر إبراهيم إنياس ابن الشيخ عبد الله إنياس

الكولخي، وتحتوي على ستة وعشرين بيتا، يقول في مطلعها:

خَلِيلِي إِنْ ترتديدا تزوري الديم * ندى وتنسى حاتم إذ هو احترم

نوع قافية هذه القصيدة مقيدة مجردة عن الردف والتأسيس، وأما اسمها فـ(متدارك) لتوالي الحرفين المتحركين بين ساكنيها، وأما حركتها فهي (التوجيه) وهو حركة ما قبل الروي المقيد.

الحادي عشرة: دالية أنشدها الشاعر في مدح الشيخ إبراهيم إنياس، والقصيدة

من بحر الطويل، تحتوي على ثمانية وعشرين بيتا، ومطلعها:

لِرَبِّي كُلُّ ٱلحَمْد وَالشُّكْر سَرْمَدًا * عَلَى مَا حَبَا مِنْ خُطّة سِرّ أَحْمَدَا

فقافية هذه القصيدة مطلقة مجردة عن الردف والتأسيس، وأما حرفها فهو (الوصل) وهو حرف مدّ ينشأ عن إشباع الحركة في آخر الروي المطلق.

الثانية عشرة: قالها في مدح الشيخ إبراهيم إنياس، هي نونية الروي، من بحر

الرجز، تحتوي على سبعة وأربعين بيتا، يقول في مطلعها:

حمدا لمولى الخلق والإيمان * في ضمن ذاك وهكذا الإحسان

ونوع هذه القافية مطلقة مردوفة موصولة بمد، وأما حرفها فهو (الردف) وهو حرف لين ساكن (واو-أو ياء- بعد حركة لم تجانسهما) قبل الروي يتصلان به.

الثالثة عشرة: وهي قصيدة همزية، من بحر الرجز، تحتوي على اثنى وخمسين بيتا،

أنشدها الشاعر في مدح الشيخ إبراهيم إنياس، يقول في مطلعها:

بَدْر تَبَدَّى ذَلِكَ اللألاَء * حَتَّى اخْتَفَى فِي ضَوْئِهِ ٱلأَضْوَاءِ

فنوع قافية هذه القصيدة مردوفة موصولة بمد، من القافية المطلقة، وذلك لوقوع ألف مدّ بعد حركة مجانسة قبل الروي، متصلان به.

الرابعة عشرة: قصيدة عينية الروي، فالقصيدة طويلة من بحر الرجز تحتوي على

خمسة وخمسين بيتا، رثى بها الشاعر الشيخ إبراهيم إنياس، يقول في

مطلعها:

يَا قَوْم هَلْ حَرُمَ ٱلبُكَاء بِأَدْمَعِ * مِنْ فَقْدِ مِصْبَاحِ الظَّلاَم ٱلأَلْمَعِ

فقافية هذه القصيدة مجردة عن الردف والتأسيس، من القافية المطلقة، وأما حركاتها فهي (المجرى)، وهو حركة الروي المطلق أي المتحرك الذي يعقبه ألف أو واو أو ياء كحركة اللام في (منزل).

الخامسة عشرة: هي رائية من البحر الكامل، وأبياتها ثلاثة وثلاثون بيتا، رثى

الشاعر بها معلمه الشيخ عبد الله يعقوب طندمي، وقال في مطلعها:

عَجَبًا لِشَمْسٍ غُيِّبَتْ تَحْتَ الثَّرَى * أَيَّام يَنْفَعُ نُورُهَا كُلُّ ٱلوَرَى

قافية هذه القصيدة مجردة عن الردف والتأسيس، من القافية المطلقة، وحرفها (الوصل) وهو حرف مد ينشأ عن إشباع الحركة في آخر الروي المطلق، وربما كان الوصل أصليا كالألف في (عصا) وكذلك الألف في (الورى) في هذه القافية.

السادسة عشرة (الأخيرة): وهي التي رثى بها الشيخ نَهُنْقُوِي (Na Hun}uyu)،

فالقصيدة ميمية الروي، من بحر الخفيف، تحتوي على ثلاثين بيتا،

ومطلعها:

إِخْوَتِي ٱلْيَوْمَ غَابَ بَدْر التّمَام * فِي الثرى سَاعَةَ انْتِشَارِ الظَّلاَم

ونوع قافية هذه القصيدة مردوفة موصولة بمدّ، وحركتها (المجرى) وهو حركة الروي المطلق أي المتحرك الذي يعقبه (ألف أو واو أو ياء).

الموسيقى الداخلية:

كانت الموسيقى ترتبط بالشعر العربي منذ نشأته، كما كان للصوت فيه من الأثر الكبير، نجد امرئ القيس -مثلا- من أوائل شعراء العرب يذكر إعجاب بعض النسوة بصوته، إذ يقول:

يَرِعْنَ إِلَى صَوْتِي إِذَا مَا سَمِعْنَهُ * كَمَا تَرْعَوِي عِيطٌ إِلَى صَوتِ أَعْيِسَا[1]

ونشأ الشعر العربي نشأة غنائية منذ العصر الجاهلي، فكانوا يعبرون عن نظمه وإلقائه بالإنشاد أو التغني. وفي العصر الإسلامي، كما يقول ذو الرمة:

أَحَب ٱلْمَكَانِ ٱلْقَفْرِ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي * بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَير مُعْجَمِ

ويقول حسان بن ثابت:

تَغَنَّى بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ * إِنَّ ٱلْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَار[2]

وقد تظاهرت النصوص وتعددت الشواهد التي تشهد بأن الغناء والشعر كانا مرتبطتين عند العرب منذ العهود الغابرة، وتشهد بأن الشعر العربي نبع من منابع غنائية موسيقية، ومظاهر الغناء والموسيقى في الشعر واضحة، ومن أهمها القافية وذلك لصلتها القوية بضربات المغنين وإيقاعات الراقصين، وللصلة القوية التي بين العروض العربي والغناء العربي.

أما الموسيقى الداخلية فهي: عبارة عن الإيقاعات والتقطيعات الصوتية في الأبيات.

والقافية الداخلية تسبق القافية الخارجية ابتغاء أن يتردد في البيت إيقاعان متحدان أو أكثر، وهي قيم صوتية خفية. وممن

---

[1] - شوقي ضيف، الدكتور، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشرة، دار الفكر، (بلا تاريخ)، ص: 42.

[2] - المرجع نفسه، ص: 44.

أشار إليها من العلماء (لامبورن) في كتابه (أسس النقد) إذ يقول: "توجد موسيقى داخلية في الشعر وهي أوسع من الوزن والنظم المجردين".

والموسقى الخارجية لا تكتشفها ولا تحللها المقاييس النحوية ولا العروضية، ولاحظ (لامبورن) أن هذه الموسيقى يشخصها جانبان مهمان، هما: اختيار الكلمات وترتيبها، ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها. [1]

الجانب الأول:

أما الجانب الأول وهو جانب اختيار الكلمات وترتيبها فقد كانت ظواهره واضحة في قصائد الشاعر حيث حاول في أن يهجر الألفاظ الغريبة الجافة والمستكرهة، وأن يستعمل الألفاظ السهلة الحسنة الخالية من تنافر الحروف ومن التعقيدات اللفظية والمعنوية، بل التي تتلائم مع المعاني التي يريد أداءها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الكلام عن الألفاظ.

الجانب الثاني:

أما الجانب الثاني وهو المشاكلة بين اللفظ والمعنى، وهي ثورة نقدية أثارها الجاحظ وجذب إليها انتباهات النقاد حيث ذهب يفضل اللفظ على المعنى ويشير إلى أن البلاغة في الألفاظ لا في المعاني.

فقد اهتم الشعراء والأدباء بتصفية ألفاظهم وإحكام تحييرها، وإحكام القافية في أشعارهم، وقد ألحّ النقاد العباسيون على الشعراء أن تصير القوافي إلى قرارها بحيث تتصل بشكلها، وتأخذ حظها من الأماكن المقسومة لها.

---

[1] - شوقي ضيف، الدكتور، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشرة، دار الفكر، (بلا تاريخ)، ص: 78.

يقول في ذلك شبيب بن شيبة: "إن حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت".[1]

فكان الشعراء يرصدون قوافي أشعارهم ويرشحون لها على صور وهيئات مختلفة من ألوان البديع الصوتية التي ترتبط بقوافي الشعر، إذ كانوا يلائمون ملاءمة شديدة بين الألفاظ والغناء حتى يحلوه أنغاما وأرقاما موسيقية. كان البحتري يشار إليه في ذلك بالبنان، إذ كان يشاكل بين ألفاظه ومعانيه مشاكلة دقيقة.

كان الشيخ خليل يهتم بجانب الإيقاعات الداخلية في شعره، وحاول محاولة جدية في أن يخلق توافقا صوتيا بين الكلمات في قصائده.

ونجده في ذلك يلائم بين حروف شطري المطلع، يقول مثلا في مدح الشيخ إبراهيم:

لِرَبِّي كُلُّ ٱلحَمْد وَالشُّكْر سَرْمَدَا * عَلَى مَا حَبَا مَنْ حَظُّهُ سِرّ أَحْمَدَا

فجعل حرف الدال في آخر الشطر الأول ليوافق آخر الشطر الثاني الذي هو قافية القصيدة، وذلك من أجل التوافق الصوتي فيها.

فمعظم قصائد الشاعر تجري على هذا النمط لاهتمامه بالموسيقى الداخلية.

ويلاحظ الشاعر أحيانا يكرر بعض الحروف في شطر واحد من شطور الأبيات في طلب التوافق الصوتي بين الكلمات كما وجدنا ذلك عند البحتري لما يحاول ذلك.

يقول البحتري في قصيدته:

لي حبيبٌ قد لجَّ في الهجر جدَّا * وأعاد الصدُودَ منه وَأَبْدَى[2]

---

[1] - شوقي ضيف، الدكتور، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشرة، دار الفكر، (بلا تاريخ)، ص: 83.

[2] - شوقي ضيف، الدكتور، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشرة، دار الفكر، (بلا تاريخ)، ص: 84.

تكررت الجيم في الشطر الأول، وتكررت الدال في الشطر الثاني، وأمثال ذلك موجودة في قصائد الشيخ خليل، يقول مثلا في قصيدة ترحيبية:

لَوْ لَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَهُ ذَاكَ ٱلوَلِي * لَكَفَاهُ فَخْرًا بَلْ كَفَى ٱلإِسْلاَمَا

خلا الشطر الأول من هذه الظاهرة ولكن في الشطر الثاني تكررت الفاء وأحدث ذلك توافقا صوتيا بين الكلمات.

وقال في بيت آخر:

وَلِتَرْضَ عَنِّي مَنْ رِضَاهُ رِضَى إِمَا * مِ ٱلعَصْرِ وَٱلخَتْمَيْنِ لاَ إِحْجَامَا

تكررت الضاد في الشطر الأول حيث يخلو الشطر الثاني من هذه الظاهرة.

ويقول في بيت آخر منها أيضا:

بِسَنَاكُمُ وَسَنَائِكُمْ قَدْ زَيَّنَ ٱلـ * مَوْلَى لَيَالِي ٱلعَصْرِ وَٱلأَيَّامَا

ففي الشطر الأول من هذا البيت تكررت السين، وتكررت اللام في الشطر الثاني ابتغاء أن يحدث ذلك توافقا صوتيا بين الكلمات.

وكان الشاعر في محاولته لذلك يجمع بين الحروف المتقاربة في المخرج كما وجدناه جامعا بين الهمزة والعين، إذ هو يقول في الترحيب:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِالَّذِي نَفَحَاتُهُ * إِنْ أَمَّ أَرْضًا عَمَّتِ ٱلأَقْوَامَا

تكررت الهمزة في الشطر الثاني من هذا البيت وجمع الشاعر معها حرف العين لتقاربهما في المخرج طلبا للتوافق الصوتي بين الكلمات.

ويقول أيضا في التي رثى بها الشيخ أبا بكر سرنبي:

أَخٍ تَيْمِ ٱلوِدَادِ وَزِيرِ صِدْقٍ * لِسِرِّ ٱلخَتْمِ جَحْجَاحِ الرِّجَالِ

صَدِيقِ أَبِي وَأُسْتَاذِي عَلِيِّ * سَلِيلِ ٱلحَسَنِ وَاسِطَةِ ٱلمَنَالِ

في الشطر الثاني من البيت الأول من هذين البيتين تكررت الجيم، وتكررت السين في شطر البيت الثاني منهما من أجل

الموافقة بين التقطيعات الصوتية وإهتام الشاعر بالإيقاعات الداخلية.

ويقول في قصيدة ميمية رحب فيها بالشيخ أحمد التجاني ابن الشيخ إبراهيم إنياس:

أَيْضًا لَقَدْ شَاعَ عِنْدَ ٱلْكُلِّ أَنَّكَ جَوْ * دُ ٱلْجُودِ لَكِنَّ جُودَ ٱلْجُودِ مَا لَزِمَا

عقد الشاعر في هذا البيت جناسا، وتكررت في البيت كلمتا (الجَوْد) و(الجُودِ) وتكرر بعد ذلك حرفا (الجيم) والدال في الشطر الثاني من البيت من أجل الإيقاعات والموسيقى الداخلية.

وقال في أخرى يرحب به:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِهَذَا السَّيِّدِ ٱلعَلَمِ * حِلْفِ التُّقَى وَالنَّقَى وَٱلعِلْمِ وَٱلْحِكَمِ

ننظر كيف وفق الشاعر الحرف الأخير من السطر الأول بقافية البيت، وكيف نظم التقطيعات الصوتية في الشطر الثاني بعقد المجانسة بين كلمتي (التقى) و (النقى) وبين (العلم) و (الحكم) لإيجاد التوافق الصوتي بين الكلمات.

وقال في بيت آخر:

وَذَاكَ إِرْضَاءُ مَوْلاَنَا وَقُدْوَتِنَا * غَوْثِ ٱلوَرَى سِرِّ سِرِّ السِّرِ بِالْخِدَمِ

وننظر -أيضا- كيف تكررت كلمة (السر) في الشطر الثاني من هذا البيت من أجل الإيقاع الداخلي.

ومما يوجد في قصائد الشاعر من المقاييس الموسيقية الداخلية (الطباق الصوتي)، وسبق أن البحتري اعتنى بهذا الجانب الصوتي اعتناء بالغا، فنجده مثلا يقول:

يتأبى مَعَنَا وَيَنْعَمُ إِسْعَا * فًا وَيَدْنُو وَصْلاً وَيَبْعَدُ ضدا[1]

[1] - شوقي ضيف، الدكتور، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشرة، دار الفكر، (بلا تاريخ)، ص: 85.

أتى البحترى في الشطر الثاني من هذا البيت بهذا (الطباق الصوتي) بين (يدنو ويبعد ووصلا وصدا).

يقول الدكتور شوقي ضيف: "إن الطباق العباسي يمكن أن تعتبر بعض جوانبه أيضا لونا صوتيا يأتي به الشاعر من أجل الموسيقى".[1]

استطاع الشيخ خليل في قصائده أن يصل إلى هذه الظاهرة الصوتية طلبا للتوافق الصوتي بين الكلمات في القصائد.

نجده يقول في رثاء الشيخ أبي بكر سرنبي:

وَلِيّ اللهِ مرضِيه دَوَامَا * بِأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ وَحَالٍ

أتى الشاعر في الشطر الثاني من البيت بكلمتي: (أقوال وأفعال) تتفقان في عدد الحروف وترتيبها، وشكلها، وتتفقان أخيرا مع قافية البيت في حروفهما الأخيرين كل ذلك من أجل التوافق الصوتي والتلائم بين الألفاظ والمشاكلة بين الكلمات.

ويقول في قصيدة ترحيبية مدحية:

وَخِدْمَتُهُ فِي ٱلوَقْتِ لاَ خَيْرَ فَوْقَهَا * لِكُلِّ مُرَادٍ وَهْيَ أَقْصَى السَّلاَلم

تَصِيرُ مَمْلُوكًا مِلِيكًا وَجَاهِـــــــــــــلاً * خَبِيرًا يُفِيدُ ٱلعِلْمَ كُلُّ ٱلأَقَـــــــالم

أتى الشاعر في ثاني هذين البيتين بـ(الطباق الصوتي) بين (مملوكا ومليكا) وبين (جاهلا وخبيرا) طلبا للمشاكلة بين الكلمات وتبعا للقافية الداخلية.

ويقول أخرى ترحيبية:

وَمَنْ بِوَالِدِهِ ذَا ٱلقَرْن شَابَهَ قَرْ * ن ٱلمُصْطَفَى خَيْر مَنْ صَلَّى وَمَنْ صَامَا

عقد الشاعر في الشطر الثاني من هذا البيت طباقا صوتيا، فجمع بين كلمتي (صلى وصام) ولم يجمع بين صلى وحج أو زكى مع كونهما من أركان الإسلام الخمس، فجمع بين صلى

[1] - المصدر السابق.

وصام لتتكرر الصاد، وللملائمة بين الكلمات حتى يحدث ذلك إيقاعا صوتيا داخليا.

وقال في مدح الشيخ إبراهيم إنياس:

شَمْسُ ٱلْهُدَى بَحْرُ النَّدَى مَاحِي الرَّدَى * مَنْ فِي يَدَيْهِ ٱلْمَنْعُ وَٱلْإِعْطَاء

جمع الشاعر في الشطر الأول من هذا البيت ثلاث جمل متفقة الفواصل، وتتكرر فيها الدال لتلائم الكلمات والحروف وليشعر بالقافية الداخلية.

وأتى في الشطر الثاني من البيت بـ(الطباق الصوتي) إذ جمع بين كلمتي (المنع والإعطاء) من أجل التوافق الصوتي.

وقال في بيت آخر من هذه القصيدة:

شَيْخٌ بِهِ الدِّين ٱلْحَنِيف تَكَاثَرَتْ * خُدَّامُهُ ٱلْكُبَرَاء وَالصُّغَرَاء

فكلمتا (الكبراء والصغراء) في الشطر الثاني من هذا البيت طباق صوتي أحدثه الشاعر ليخلق به إيقاعا داخليا يشعر به من يقرأ القصيدة أو من يسمع إنشادها.

وبهذه الأمثلة نثبت أن الشاعر اهتمّ كثيرا في قصائده بالموسيقى الداخلية.

الألفاظ والتعابير:

الألفاظ: هي اللبنات التي يعتمد عليها بناء الجمل والتعابير، وتأدية المعاني، بها يستطيع الشاعر إبراز ما في ضميره من مشاعر وأحاسيس، فمن الألفاظ ما هي قوية جزلة ومنها ما هي رقيقة سهلة، يقول ابن الأثير في هذا المعنى: "اعلم أن الألفاظ تجري من السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والألفاظ الرقيقة تتمثل كأشخاص ذوي دماثة ولين ولطافة مزاج"[1].

ومن الشعراء من يميل إلى الألفاظ الجزلة كما أن منهم من يميل إلى السهلة الرقيقة وخير مثال في هذا المعنى يقول الأخطل: "جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت صخر".

[1] - شوقي ضيف، الدكتور، في الأدب والنقد، دار المعارف، بلا تاريخ، ص: 42.

فهذا الشاعر أكثر ما يميل إلى الألفاظ الرقيقة والتعابير السهلة وقلما يستعمل الجزلة من الألفاظ، وذلك من أثر ثقافته الواسعة في الدين الإسلامي واللغة العربية حيث كان يتعلم ذلك من القرآن الكريم، والحديث الشريف، ومن أشعار بعض من سبقه من الشعراء، وأحيانا يأخذ من أسلوب النحاة العرب كما ستشهد بذلك الأمثلة الآتية:

1-يقول الشاعر في مدح الشيخ إبراهيم:

وَمَا قُلْتُ إِلاّ مَا رَأَيْتُ فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ صدِّقْ لِتَسْعِـــــــدَا

والشاعر في هذا البيت يحاكي أسلوب القرآن الكريم حيث يقول الله ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [البقرة، الآية: 147]، فآخر صدر بيت الشاعر وأول عجزه أسلوب أخذه الشاعر من القرآن.

2-وقال في مدحه أيضا:

أَوْجَدْتَ بَسْطَة فِي ٱلعِلْمِ لاَنَا وَقَبْل تَعَذر مَـــــو ٱلوجْـــــدَان

فقوله (بسطة في العلم) أسلوب اقتبسه الشاعر من القرآن واستعمله في مدح ممدوحه وشيخه الشيخ إبراهيم، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [البقرة، الآية: 247].

3-ويقول في رثاء الشيخ عبد الله يعقوب طندمي:

أَزْكَى سَلاَمِي رَبَّنَا دَوْمًا عَلَى مُخْتَارِه ٱلمَبْعُوث فِي أُمِّ ٱلقُرَى

فلفظ (أم القرى) قد استعملت في القرآن حيث يقول الله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [الأنعام، الآية: 92].

4-وقال في رثاء الشيخ إبراهيم نهنقي (Na Hun}uyi):

وَكَـــــــــذَا وَهُوَ رُوحٌ لَهُـــــم ثَالِثًـــــــــــــا أَوَان اغْتَنمَا مَتَى دَفَنُوهُ

ولفظ (روح) أسلوب من القرآن، يقول الله تبارك وڇ ک ک ک گ گ گ [الواقعة، الآية: 89].

5-وقال أيضا في نفس القصيدة:

وَلِذَا حِينَمَا تُوُفِّي شَيْخِي ... أَلْحَقُوهُ بِطَاه خَيْر إِمَامِ
فَجَزَاهُم إِذْ ذَاكَ أَفْضَلُ ... جُونَهُ ذُو ٱلْجَلَالِ
مَا يَر ... وَٱلْإِكْـــرَامِ

قوله: (ذو الجلال والإكرام) تعبير سبق أن استعمل في القرآن الكريم، يقول الله تبارك وتعالى في سورة الرحمن، ٹ ٹ ڇ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڇ [الرحمن، الآية:78]، وكان ﷺ يقول في دعائه: "يا ذا الجلال والإكرام".

6-وقال في رثاء الشيخ إبراهيم:

تَبْكِي عَلَى مَنْ لَمْ يَخَفْ فِي ... مَةَ لاَئِمٍ وَعَطَا السّوى لَمْ
اللهِ لَوْ ... يَطْمَع

فتعبير (لم يخف في الله لومة لائم) أسلوب مستعمل في قوله ڈ ڇ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ڇ [المائدة، الآية: 54]، فاستعمل الشاعر هذه الألفاظ في مرثيه، وفي إظهار شدة وجعه في فقده.

7-ويقول في رثائه للشيخ إبراهيم:

إِنْ فَاتَنَا لَقِيَاهُ فِي هَذِي ... وَلَنَا لِقَاءٌ فِيهِ خَيْر
الدُّنَا ... تَمَتُّع
ذَاكَ ٱلْبَقَاءُ هُوَ ٱلأَلَذ ... خَيْرٌ وَأَبْقَى مَا لِهَذَا
لأَنَّـــــــــهُ ... ٱلمَرْجَـــع

فقوله (خير وأبقى) أسلوب سبق به في القرآن الكريم، ٹ ڈ ڇ پ پ پ ڇ [الأعلى، الآية: 17].

8-ويقول في قصيدة ترحيبية:

o---o-- o-o -o-- - o-- o -o-- o--- o--o-- o- o --o- o-- o -o-
يَا قُرَّةُ ٱلعَيْنِ مَحْبُوبِي التِّجَـــــانِي وَبَا * رِئ ٱلْخَلْقِ إِنَّكَ
كُنْتَ الدَّهْر مُحْتَرِمَا

ففي لفظ (قرة العين) محاكات للأساليب والألفاظ القرآنية، يقول الله تعالى على لسان امرأة فرعون: چڈ ژ ژ ڑڑک ک ک ک گ گ گ گچ [القصص، الآية: 9].

9-ويقول في رثاء الشيخ عبد الله طندمي:

غيّر النكر باللسَّان ِكَمَاللـ * ـدين أَمْسَى مِن أَكْبَر ْالْخُدَّام

فلفظ (النكر) تعبير حاكاه الشاعر من قول الله تعالى في سورة القمر حيث قال جل شأنه: چئۇ ئۆئۆئۈ ئۇ ئې ئې ئى ئىچ [القمر، الآية: 6]. أي المنكر الفظيع، معنى: أن ممدوحه غير المنكر بلسانه كما أمر النبي ﷺ بذلك في قوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسان فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

10- فلفظ (الهيم) في بيت من قصيدته التي رحب فيها بالشيخ علي سيس أخذ من القرآن الكريم، قال الشاعر:

أَهْلاً بِمَنْ تُرْوَى بِهِ الهيم خَيْر مَنْ * أَتَى وَلَنَا فِي وَصْلِهِ كُلّ رَغْبَة

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة الواقعة: چڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ [الواقعة، الآية: 54-55]. معناه: الإبل العطاش.

وأحيانا يستعمل الشاعر أسلوب من سبقه من الشعراء ويأخذ من ألفاظهم كما يقول في رثائه للشيخ أبي بكر سِرِنْبَيْ (Sirinbai):

أَحَطب نَابَ حِزْبُ اللهِ نَ حَقّا فَقد ذَالِكُم أَم كَا الثمَـــال

كان ممن سبق الشاعر في استعمال لفظ الثمال في الشعر أبو طالب عم النبي في مدحه له ﷺ حيث يقول:

وَأَبْيَض يَسْتَسْقِي ٱلْغَمَام ثمال ٱلْيَتَامَى عِصْمه بوجهه للأَرَامِل[1]

[1] - الدكتور إبراهيم أنس والدكتور عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالمي، محمد خلف الأحمر، المعجم الوسيط، بلا تاريخ ومكان الطبع، باب الثاء، ص: 121.

فنشم من الشاعر رائحة الأخذ من هذا الأسلوب ويقول أيضا في قصيدة رثائية:

شَمْسُ ٱلهُدَى بَحْرُ النَّدَى مَاحِي حِصْنُ النَّجَاةِ مِنَ ٱلبلا بِالْأَمْنَع الرّدَى

فكلمات أوائل صدر هذا البيت من أسلوب الشيخ عثمان بن فودي في داليته التي مدح بها النبي ﷺ حيث يقول:

شَمْسُ الضُّحَى تَاجُ ٱلعُلاَ لاَ خَيْـــــــرَ إِلاَّ فِي بَحْرُ النَّدَى اتِّبَـــــــــاع محمد

وأحيانا يأخذ الشاعر أسلوبه من مصطلحات النجاة كما نجده يقول في هذا البيت:

يَا مَنْ قَضَى الله أَنَّ ٱلْخَيْرَ لَهُ مِنَ النَّعْتِ يَا ذَا ٱلْجُود أَوْجَبَ مَا كَالدِّيمَ

فلفظ (النعت) من مصطلحات النحاة في كلامهم عن الصفة والموصوف، فاستعمله الشاعر في بيان صفة ممدوحه.

وقال في بيت آخر:

وَافَاكَ جَدّ ضَعِيفٌ أَنْتَ فَارْفَعْهُ بِالضَّمِّ وَالْمَضْمُومِ قُوَّته ذُو قِيَمِ

الضم من علامات الإعراب التي تظهر على أواخر الأسماء والأفعال المرفوعة، والمضموم هو ما ظهرت عليه هذه العلامة، استعمل الشاعر هذين اللفظين هنا تورية لأن معناهما النحوي هو المعنى القريب الذي يتبادر إلى ذهن السامع، فالمعنى البعيد الذي يريد الشاعر من الإضمام، وذكر المضموم الذي يلازم المعنى القريب.

وقلما يستعمل الشاعر الألفاظ الجزلة القوية في شعره، وسوف يأتي الباحث بأمثلة منها على النحو التالي:-

1-قوله في رثاء الشيخ أبي بكر سِرِنْبَيْ:

أَحطب نَابَ حِزْبُ اللهِ نَ حَقًّا فَقَدْ ذَالكم أَمْ كَا الثمَال

فلفظ (الثمال) من الكلمات التي يرى الباحث أنها صعبة بالنسبة لما يجري عليه أسلوب الشاعر، ويريد بهذه الكلمة هنا أن مرثيه كان ملجأ وغياثا للضعفاء والمساكين.

2-من أمثال هذه الألفاظ قوله في مدح أمير كَنُو الحاج محمد السنوسي عبد الله:

فَأَكْرِمْ بِهِ قرما وَنَاصِرُ دِينِ ٱلْحَقِّ بِٱلْقَوْلِ غَشَمْشَمَا وَٱلْعَمَلِ

فلفظ (القرم)[1] من الألفاظ التي يرى الباحث أنها صعبة حسب الأسلوب الذي يستعمله الشاعر، ويريد به الشاعر: السيد المعظم.

وكذلك لفظ (الغشمشم)[2] الذي في نفس البيت ويعني به الشاعر الجريء الماضي الذي لا يشبه شيء عما يريد.

3-ومن أمثلتها أيضا قوله يرحب بالشيخ علي سيس:

وَيَرْغَبُ عَنْهُ كُلُّ غَمٍّ تَجَمَّعَ فِيهِ شَرّ مَا فِي مُغَفَّلٍ الْبَهَائِم

يعني لفظ (الغم) الضال الذي وقع في الضلالة التي تغمر، ويعني الشاعر هنا أنه لا يرغب عن ممدوحه إلا ضال غافل أضل من البهائم كما في قوله ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الأعراف، الآية: 179].

4-قوله في قصيدة ترحيبية:

لَولاَ اخْتِيَارٍ مِنَ اللهِ كُنَّا لِنَعْرِفَ هَذَا السَّيِّدِ ٱلْمُوَفَّقِ مَا ٱلْجَلَمَا

يعني لفظ (الجلم) الهلال، شبه الشاعر ممدوحه بالهلال للدلالة على مكانته السامية وتشوق الناس إلى رؤيته.

5-قوله في مدح الشيخ إبراهيم:

---

[1] - إبراهيم مصطفى وآخرون (بلا تاريخ)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج: 2، ص: 730.

[2] - المرجع السابق، ص: 653.

وَذَلِكَ قَوْلٌ ثَابِتُ ٱلأَس لَمْ لِمُنْكِرِ مَا لاَ سَفِيهِ أَوْ يَكُنْ ٱلْعِدَى

ولفظ (الأس) معناه الأساس، ويعني الشاعر أن ما يقوله في ممدوحه كلام ثابث الأساس لا ينكره إلا سفيه أو من هو له عدو.

6-قال في رثاء الشيخ إبراهيم:

وَبِهِ ذَا كُلّـــه منْ نُورُه تَمَيَّـــــــــــــــزَ ٱلْمُتَشَعْشعِ فِضَّة عَنْ فِضَّة

ولفظ (الفضة) بفتح الفاء معناه: الصخر المنثور بعضه فوق بعض[1]، ويعني الشاعر هنا أنه بممدوحه يتميز ذو الفضل من الناس من غيرهم فشبه الفضلاء بالفضة التي هي من الجواهر النفيسة التي تستخدم في سك النقود، وشبه غير الفضلاء بالفضة ويعني بها الأحجار المنثور غير ذات قيمة منشودة، وكذلك لفظ (المتشعشع) في هذا البيت يعني به الشاعر: المنتشر.

الأغراض:

سبق أن ذكر الباحث أن أغراض الشاعر في قصائده مدح ورثاء وترحيب وأمثلتها كما يلي:

يقول الشاعر في مدح الشيخ إبراهيم إنياس:

لرب كل الحمد والشكر سرمدا * على ما حبا من حظّه سر أحمدا

وما فيه من خير فلا تركنن أخي * إلى العـــــــدّ واقرأ كل صيد لترشدا

إلى قوله:

محبته فـــــــــــــــوز كبير ومدحـــــــــــــــه * كذلك فاجمع ذين من يبتغي الندى

بجمعهما تحيا سعيدا مكـــــــــــــــرما * مبارك أفعال ونســـــــــــــــل مســـــــوّدا

[1] - الدكتور إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسط، بلا تاريخ، باب الفاء، ص: 777.

وما قلت إلا ما رأيت فلا تكن * مـــــن الممترين الدهر صدق لتسعدا

وفي سفري كم لاحظني مخاوف * فلـــــــــــــــــذت به عنها فصرت مؤيدا

وإن زاد مالي اليوم قلا فـــإن لي * مـــــــــــدى الدهر زاد لن يقل فينفدا

وذلك حين حجة العارفين من * على حبه طه المصطفى راح واغتدى

لذلك أمسى بابه الوقت والذي * أتى من سواه البدر أمسى مشردا

وقانا إله الخلق من كل زلـــــــــــــــة *

تـــــــــــؤدي إلى إنكار ما كان أوجدا

إلى قوله:

تمنيت أن ألقى مدى الدهر مادحا * سجاياك يا ذا الغوث من جاء أفيدا

ولكنني عـــــــن علم ما الشعر يبتغي *

عمـــــــــــــــــيّ وما لي غير شوق توقدا

لقـــــــــــــــد شهـــــد الله العظيم بأنني * أحبك يـــــــــــــــــــــــا برهام حبا مجددا

رثاه في قصيدة أخرى بقوله:

يا قوم هل حرم البكاء بأدمـــــــــــــــع * من فقد مصباح الظلام الألمع

سمى الهدى بحر الندى ماحي الردى * حصن النجاة من البلايا الأمنع

فقد به حار الملا حتى العـــــــــــــدى * لا غرو إذ هو فقد غيث أنفع

معوان أفضل ملة وطريقـــــــــــــــــــــــة *

جمعت فضائل غيرها لم تجمع

طب القلوب لسائر المتطهـــــــــــــــــــريـ * ن أقبح الأدناس بحر الأوسع

فقد به بكـــت الأراضي والسمـــــــــــاء * وجميع من حوتا على ذا الأشجع

إلى قوله:

ولذلك حين مغيب الشمس وجوده * قـــــــــال الملا طرا بصوت مسمع

قد مات والله النفـــــــــــــــــــــــوع لكلنا * حسن السجايا زين سائر مجمع

قد غاب عنا الإمـــــــــــــــــام وإننا * من سمع أشهى صوته لم نشبع

قد غاب عن ذا المحصن والأعا * دي في اشتداد أذى وكيد المجمع

ولذلك تبكي الأحبـــــــــــــه كلما * نار الغرام تضرمت في الأضلع

تبكي على من لم يخـــف في الله لو * مة لائم وعطا السوى لم يطمع

صبرا جميلا يا أحبـــــــــــة شيخنا * فالصبر شيمـــــــة كل عبدأخشع

إن فاتنا لقياه في هـــــــــذا الدنا * ولنا لقـــــــــــــــــاء فيه خير تمتمع

ذاك اللقاء هو الألذ لأنـــــــــــــه * خير وأبقى مـــــــــــــا لهذا الموجع

ولذا رضينا الصبر أقوى مركب * في كل خطب ما له من مدفع

ورحب بابنه عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس:

أهلا وسهلا بمن في حبه هامـــــــــا * أصحاب قطب البرايا الشيخ برهاما

أهلا وسهلا بمن عمت جميع بلا * د القطـــــــــــــر
خيراته مذ أمّها العاما
أهلا وسهلا من لقياه أسرع مـــــا * يشفي
العليـــــــــــــل وينفي عنه آلاما
أعنيك نجل إما العصر وارثـــــــــــه * أتم إرث به
أصبحـــــــــــــت ضرغاما
أعنيك يا حاجّ عبد الله من نصر الـ * ـمولى بك دين الحق
إسلامـــــــــــــا
وسائر المسلمين الصادقين خصـــو * صا منهم صحب سر
الختم برهاما

الوحدة العضوية:

كانت قصائد الشيخ خليل متماسكة الأجزاء ومترابطة فكرا ووجدانا، حيث تتجمع أبيات القصيدة تحت أفكار وتندرج الأفكار تحت موضوع القصيدة الذي يمثل عنوانها.

غير أن الباحث يجد الشاعر في أواخر بعض قصائده قد يخرج قليلا عن غرضه الأساسي الذي يكون مدحا أو رثاءًا أو ترحيبا فيختم بالثناء على الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كما سيشير الباحث إلى ذلك إن شاء الله، كما أنه يفتح بعض القصائد بالحمد لله والثناء عليه ثم يشرع في وضوعه، وأحيانا يفتح الشاعر قصيدته بالنداء والتهنئة ثم يشرع في مقصوده كما سيأتي مثال ذلك إن شاء الله تعالى.

وعلى العموم كانت الوحدة الموضوعية تسود قصائد الشاعر إذ كان لا يخرج عن موضوعه إلاّ في أماكن قليلة وذلك عند الافتتاح أو الاختتام كما في الأمثلة الآتية:

1-يقول الشاعر في ترحيبه بالشيخ أبي بكر سِرَنْبَي:

أهلا بطب يبرء الأسقامـــــــا * تذكاره في القلب والآلاما
أهلا بأول من تلقى السر من * غوث البرايا شيخنا برهاما

أهلا وسهلا بالذي نفحاتـه * إن أمّ أرضا عمت الأقواما
أهلا وسهلا مرحبا من مقتضى * جولانه أن يرفع الإسلاما
من خيمه الإحسان دأبا سيما * للذ أتاه يطلب الإنعاما
أكرم به بحرا خضما للنـــــــــدى * ما نال غايته الذي قد عاما
أشجع به ليث المعارك لم يزل * بحسامه البتار يفري الهاما

بمجرد أن قرأ الإنسان هذه القصيدة يدرك أنها متماسكة الأجزاء وأن أفكار أبياته تندرج تحت موضوع واحد وهو (الترحيب) وخصوصا عند قراءة القارئ للأبيات الأربعة الأولى من القصيدة حيث كرر الشاعر كلمة (أهلا) في مبدأ كل بيت وأكدها في البيت الثالث بقوله (وسهلا) وفي الرابع بقوله (وسهلا ومرحبا) فكلها كلمات تدل على الترحيب.

وفي البيت السادس والسابع كرر الشاعر فعل التعجب في مبدأ كل منهما بقوله (أكرم به) في السادس و (أشجع به) في السابع، وهكذا تستمر القصيدة متماسكة الأجزاء مرتبطة الأفكار إلى نهايتها.

واختمها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على النبي كما استشهدت بذلك الأبيات الآتية:

الحمد لله الذي أهدى لنا * غوث الزمان وصنوه الضرغاما
ربي بهذيـــــــن وسيدنا علـــ * ـي سيس فالترزق لنا الإلهاما

وقال:

أزكى السلامين على أصل الأصـو * ل المصطفى من علم الأحكاما

والآل والصحب الجحاجحة الأولى * أرضوا بفقو نبينا العلاما

2-ويقول في التي رحب فيها بالشيخ علي سيس:

معاشر دين المصطفى والطريقة * أتانا لسان الفيضة الأحمدية

هنيئا لنـــا فالخيـــــــــــــــــر أم وعمنا * بإتيانه ذا العام عام المسرة

فأهلا به إذ جاء نورا به الدجى * يزول وبحرا للعطايا الجزيلة

فأهلا بمن تروى به الهيم خير من * أتى ولنا فهو وصله كل رغبة

فأهلا وسهلا مرحبـــــــا ثم مرحبا * بسلطان خدام لغوث البرية

وأعنيك من لم يرض قلبي بغيره * نزيلا ومن تذكاره روض جنة

وأعنيك يا باب الوصول لغوثنا * وخير قريب منه من غير مرية

وأعنيك يا مولاي سيس علي من * حباه إله الناس كل الفضيلة

افتتح الشاعر هذه القصيدة الترحيبية بنداء المسلمين عموما وأهل الطريقة التجانية بوجه خاص، وهنأ المسلمين جميعا بقدوم ممدوحه وبين عام قدومه عام الفرح والسرور.

ثم شرع في صميم موضوعه-الترحيب-وجعل مبدأ ثلاث أبيات متتالية كلمة (أهلا)، و (أهلا وسهلا)، ومبدأ ثلاث أبيات تليها عبارة (أعنيك) كل ذلك يدل على الوحدة الموضوعية في القصيدة.

3-يقول الشاعر في مدح الشيخ إبراهيم إنياس:

بـــــــــــــــدر تبدى ذلك اللألاء * حتى اختفى في ضوئه الأضواء

أم ثغر فجر قد تبسم بعدما * طالت علينا ليلة درعاء

أم نور شمس قد تجلى صافيا * وسط السما فتراءت الأشياء

أم ريح مسك فاح أم بحر طما * متلاطما موجا أم الأنواء

بله الجميع لقد بدا لي أنه الـ * ـطب الذي زالت به الأدواء

محبوب رب العالمين صفيه الـ * ـبواب للختمين ليس مراء

شمس الهدى بحر الندى ماحي الردى

من في يديه المنع والإعطاء

يجد القارئ لهذه القصيدة أن الشاعر ذهب مباشرة إلى صميم موضوعه-المدح-واستمر فيه من غير انقطاع أو الانتقال إلى موضوع سواه، وكانت أبيات القصيدة متصلة مع بعضها البعض متحددة الموضوع مرتبطة الأفكار.

العاطفة:

فالعاطفة هي الحالة الوجدانية التي يشترك الناس فيها مما يسمونه حزنا أو فرحا أو خجلا وما إلى ذلك، وهي عنصر مهم من عناصر الأدب.

تصدر أبيات هذه القصائد من عاطفة الشاعر وهي عاطفة صادقة، عاطفة فرح وحب وسرور وخاصة في قصائد المدح والترحيب، وعاطفة حزن وقلق، وكثيرا ما يظهر ذلك في القصائد الرثائية.

كانت ظاهرة الحب تنبعث من قلب الشاعر وعاطفته وتظهر واضحة في كثير من أبيات هذه القصائد كما تنبعث أحيانا عاطفة حزن وقلق كما سيأتي في الأمثلة الآتية:

1-يقول الشاعر في قصيدته التي رحب فيها بالشيخ أبي بكر سرنبي (Sirinbai):

يَكْفِيكَ يَا شَيْخِي بِأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ إِنْكَارَ صِنْوكَ قَطّ فَخْرًا دَامَا
أَيْضًا وَيَكْفِي ذَا الضَّرِيرِ فَإِن بِحُبِّكَ لاَ يرَى مَنْ
بِأَنَّـــــــــــــــهُ لاَمَـــــــــــــــا

بين الشاعر في هذين البيتين أن الشيخ أبا بكر سِرِنْبَيْ (Sirinbai) يكفيه فخرا أنه لم يسمع بإنكار أخيه عمي منذ نعومة أظفاره كما أشارت إلى ذلك سيرته، أي يكفيه فخرا أنه بلغ الغاية القصوى في حب ممدوحه حتى فنى وانتهى ولم يبق منه شيء إلا وقع في هذا الحب، وأشهد الله تعالى في ذلك بقوله:

وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مَـــــنْ لِلْهِدَايَةِ يُرْفَعُ
أَهْـــــــــوَاكَ يَا ٱلأَعْلاَمَا

وهذا من آثار الإسلام وعلومه التي لا تفارق شعراء غرب إفريقيا.

2-قوله في نفس القصيدة:

أَعْوَام عوقبنَا بِفَقْدِ مَجِيئُكُمْ أَحْبَابِنَا مَا أَصْعَبَ
إِذْ مَسَّنَا مَا مَسَّنَا مِن ٱلأَعْوَامَـــــــــا
وَحْشَـــــــــــــــةٍ حَتَّى لعنا
تيـــــــــــــــــــك
ٱلأَصْنَـــــــــامَا

فالشاعر في هذين البيتين من أجل شدة حبه لممدوحه اعتبر السنوات التي لم يأتهم فيها أصعب السنوات وأشهدها لديهم، وعدم مجيئه إليهم فيها كعقاب لهم لما مسهم فيها من الوحشة حتى أصبحوا كالأصنام في التجمد وعدم الحركة.

3-وقال في التي رثى بها الذي رحب به في القصيدة السابقة:

وَمَا لِلْخُلْدِ تَضْحَكُ حِينَ عُيُون ٱلأَصْفِيَاءِ
تَبْكِي بِالْانهمَال
وَلَكِن عُذْرُهَا أَضْحَى لَدَيْهِم كَالضُّحَى ٱلْمُبْدِي
الظَّلاَل

وُضُوحًا يَسرّ
وَلِمْ لاَ إِنَّهَا فَازَتْ ٱلمُنْـــــــــــزِلِينَ
بِضَيْـــــــــــــــفٍ بِكُلِّ حَـــــالِ

يظهر الشاعر فزعه على فقد مرثيه ويبين أن البكاء على فقده ما وقف على عوام الناس وسلفتهم فقط، بل تعدي ذلك إلى الأصفياء والشرفاء منهم.

وذهبت به عاطفته الحب إلى أن حكم لمرثيه بالجنة، وأن جعل جنة الفردوس إنسانا اتصف بالصفة الضحك وحق لها أن تضحك لأن عذرها في ذلك واضح وهو أيضا فازت بضيف يسر به كل من نزل عليه.

4-قال الشاعر في قصيدة ميمية ترحيبية:

يَا صِنْوَ شَمْسُ ٱلعَارِفِينَ أَرْضِي فَخُذْ بِأَسِيرِ حُبّ
وَزِيرِهِ ٱلـ هَامَا
وَاجْعَلْـــهُ مِنْ خُدَّامِ قُلْتُمْ لَهُمْ أَحْسَن بِهِمْ
دَارِكُم ٱلأولى خُدَّامَا

أخذت الشاعر عاطفة الحب وذهبت به إلى أن نسي حريته واعتبر نفسه أسيرا سباه الشوق والحب إلى ممدوحه وجعله من خدامهم المحسنين لخدمتهم.

5-وقال أخرى:

يَا مَنْ إِذَا مَسَّ قَلْبِي عِلْمِي بِأَنَّكَ أَسْتَاذِي
الضَّرّ أَبْرَأَه وَمُحْتَرِمِي
وَافَاكَ جدّ ضَعِيف أَنْتَ فَارْفَعْهُ بِالضَّمِّ
قُوَّتـــــه وَٱلمَضْمُوم ذُو قِيَمِ

جعل الشاعر حبه القوي لممدوحه أن يعبره دواء وشفاء لأن ذكرياته تبرأ الشاعر من القلاقل والأحزان الطارئة على قلبه.

6-يقول في قصيدة يرحب فيها بالشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ لَقِيَاهُ يُشْفِي ٱلعَلِيلَ وَيُنْفِي عَنْهُ

أَسْرَعُ مَا آلاَمَا

وقال في أخرى رثاءً للشيخ عبد الله بن يعقوب طندمي:

كَمْ جَاءَ مَجْلِسهُ عَلِيل مِن نَظرِه ٱلوَجْه البهِي
فَاشْتَفى ٱلأَنْوَارَ

هذان البيتان من قصيدتين مختلفتين واحدة ميمية ترحيبية وأخرى رائية رثائية، كانت شدة حب الشاعر لممدوحيه في هذين البيتين حملته على أن شكل كل واحدة منهما دواء يبرئ المريض مما يقاسيه من الآلام.

7-يقول الشاعر في مرثية رثى بها الشيخ إبراهيم:

فَقْدٌ بِهِ بَكَتِ ٱلأَرَاضِي وَجَمِيعُ مَنْ حَوَتَا عَلي
وَالسَّمَاء ٱلأَشْجَع

أظهر الشاعر في هذا البيت حزنه وتفجعه على مرثيه السماء والأرض ومن فيهن، وبين أن قد نابهم فقد وأفزعهم جميعا فكانوا متحيرين.

8-وقال في رثائه للشيخ عبد الله يعقوب طندمي:

هَذِي ٱلْقَصِيدَة قُلْتُهَا لِوَفَاةِ سَيِّدنَا ٱلهمَامِ
مَرْثِيَّة ٱلأَرْوَعِ
قَدْ قُلْتُهَا وَٱلحَالُ إِنِّي لَمْ أَدْرِ مَا حَالِي لِفَرْطِ
حَائِـــــــــرٌ تَوَجُّع

وأخذ الشاعر هنا يبين حزنه الشديد على فقد مرثيه وأنه أصبح في حيرة ودهشة فكان لا يدري الحالة التي هو فيها من شدة الفزع.

9-قوله يرحب بقدوم الشيخ إبراهيم:

تَمَنَّيْتُ أَنْ ألفي مَدَى الدَّهْر سَجَايَاكَ يَا ذَا ٱلغَوْثُ مَنْ جَاءَ
مَادِحًا أفيدَا
وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا الشِّعْر عمي وَمَالِي غَيْر شَوْقِي
يَبْتَغِـــــي تَوَقُّـــــــــــدَا

تمنى الشاعر في لقاء من يقوم يمدح ممدوحه وذكر طبائعه الحسنة، ولما لم يجد ذلك قام هو مع قصر بائه وعدم علمه بما يطلبه الشعر جذبته عاطفة الحب والشوق إليه فمدحه بهذه القصيدة.

10- وقال يرحب به أيضا:

مَا زِلْتُ أَعْظَمَ سُؤْلِي أَن مَوْلَى ٱلبَرَايَا بِدَارِ ٱلْقُطْبِ يُكْثِر لِي إِلْمَامَا

قَيـــــدُ الخَطَايَا وَعَدم عَلي مَا أقبح الطّول اشْتَرَكَا ٱلعَـــــــــدمِ وَالآثَامَا

يبين الشاعر هنا شدة حبه لشيخه وكثرة اشتياقه إلى زيارته مرارا في كولخ، ولكن عدم المقدرة وكثرة ذنوبه أصبحا له قيدا أثقله وثبطه، وعائقا منعه من هذه الزيارة مرة بعد أخرى، لننظر كيف جذبت الشاعر عاطفة الحب إلى أن أقر لنفسه واعترف بذنوب لا يكاد يعرفها.

11- وقال في ترحيبه بالشيخ علي سيس:

وَأَعْنِيكَ مَنْ لَمْ يَرْضَ قَلْبِي بِغَيْرِهِ * نَزِيلاً مَن تِذْكَارِه رَوْضُ جَنَّة

يلاحظ في هذا البيت كيف أخذت عاطفة الحب قلب الشاعر وحملته إلى أن سوّى ذكريات ممدوحه بروضة الجنة في التنعيم، لا لعدم معرفته بأن نعيم الجنة لا توازيها أية نعمة كائنة ما كانت، لكن جذبه إلى ذلك محض الحب والشوق إلى ممدوحه.

وبهذه الأمثلة رأينا جذبة العاطفة لقلب الشاعر وأثر ذلك في شعره.

الخيال:

الخيال من العناصر التي استخدمها الشاعر لإظهار مشاعره وأحاسيسه، ولإثارة نفوس المخاطبين لتشارك أحاسيسهم ومشاعرهم أحاسيس الشاعر ومشاعره.

بقراءة قصائد الشيخ خليل يتبين للقارئ كيف يتحكم سحر الخيال على عاطفته في تصوير المعاني التي تجيش في نفسه، كما سوف يعرض الباحث بعض الأمثلة على النحو التالي:

1-يقول في قصيدته التي رحب فيها بالشيخ أبي بكر سرنبي:

أشجع به ليث المعارك لم يزل * بحسامه البتار يفري الهاما

بتاره العلم الصحيح الهام جهـ * ـل الجاهلين فهاكم الإعلاما

رأى ما لممدوحه من العلوم الكثيرة وكيف يستعمل علمه الوافر في هداية الناس وإرشادهم إلى الخيرات والفضائل، وأراد أن يبين لنا هذه الظاهرة فتخيل صورة تشبهها وتصورها، وهي صورة رجل شجاع في ساحة المعركة يحمل سيفه القاطع ويشق به جموح المقاتلين، فصاغ هذا الخيال البارع ليسحر به القلوب ويثير العواطف لتشاركه في شعوره العاطفي.

2-ويقول في نفس القصيدة:

أيضا ويكفي الضرير بأنه * فإن بحبك لا يرى من لاما

ذهب الشاعر في دنيا الخيال حتى اعتبر نفسه كأن لا وجود له، وذلك لما أخذته عاطفة الحب إلى ممدوحه حتى فني وتلاشى، ونسي نفسه وذاتيته فأصبح كلا شيء، ولا يبالي بمن في ذلك بمن يلومه.

3-ويقول فيها أيضا:

والله يعلـــــــــــم أنني أهواك يا * من للهداية يرفع الأعلاما

ما إن ذكرته والهموم وتعضني * إلا انهزا ما جارت الأحلاما

فسأل إلهـــك أن يمن بعودتي * لمقر سر الختم هذا العاما

فقد تعترى الشاعر هموم وأحزان عند عجزه وعدم مقدرته لزيارة ممدوحه في سنغال (Senegal)، فتخيل الشاعر هذه الهموم والأحزان حيوانات مفترسة تعضه بأنيابها، بين الشاعر هذه الظاهرة في الصورة الخيالية لتكون إثارتها للعواطف أقوى ووقعها في النفوس أشد.

4-ويقول في مكان آخر منها:

يا صنو شمس العارفين وزيره الـ * أرض فخذ بأسير حب هاما

واجعله من خدام داركم الأولى * قلتم لهم أحسن بهم خداما

بتأمل هذين البيتين ترى كيف سحر الخيال قلب الشاعر حتى نسي حريته واعتبر نفسه أسيرا في يد ممدوحه وأمره بأن يأخذ بزمام نفسه ويجعله خادما من خدام دارهم المحسنين لخدمتهم المجيدين لها.

5-يقول الشاعر في قصيدة ميمية رحب فيها بقدوم الشيخ علي سيس رحمة الله عليه:

لكن رائم إلمام بغايتكم * بالمدح صار كوثاب إلى النجم

لما نظر الشاعر إلى ما لممدوحه من الرفعة وعلو المرتبة ما يعجز من يمدحه الوصول إلى حقيقة محاسنه وكنه وصفه تخيل صورة تشبه حال من يمدحه بحال من يثب إلى النجم طلبا للوصول إليه ولن يحصل له ذلك أبدًا.

6-ويقول في رثاء الشيخ إبراهيم إنياس:

فقد به حار الملا حتى العدى * لا غرو إذ هو فقد غيث أنفع

كانت حياة ممدوح الشاعر تنفع حبيبه وعدوه كما كان يضرهما فقده فتخيل الشاعر في نفسه صورة لشيء ينتفع منه من يريده ومن لا يريده فوقع في خياله أمر المطر الذي ينزل فيعم

الناس نفعه حتى ينتفع به كل إنسان سواء يريده أم لا فشبه مرثيه به.

وذكر أن الناس جميعا تحيروا لموته كشأن المطر الذي يضر فقده كل إنسان كان على قيد الحياة.

7-ويقول في رثاء أستاذه الشيخ عبد الله بن يعقوب طندمي:

أعني به طبا نصوحا للملا * أعني به بحرا تضمن أبحرا

يجد قارئ هذا البيت كيف أخذ الشاعر سحر الخيال قلب الشاعر وأداه إلى أن تخيل لمرثيه صورة يصعب على المخاطبين فهمها حيث شبهه ببحر فيه أبحر، قد يصعب على الإنسان تصوير صفة تضمن أبحرا كثيرة.

الأسلوب:

يعتبر الفكر عنصرا أساسيا وضروريا في العمل الأدبي، وبدراستنا لأفكار الشاعر في هذه القصائد نجد أن تصويره للمعاني كان تصويرا صادقا حقيقيا خاليا من الكذب والادعاء، ذلك لأن أفكاره كانت مأخوذة من ثقافته الإسلامية العربية الواسعة مما استفاده من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو من أشعار من سبقه من الشعراء، كما سيستشهد الباحث في ذلك ببعض الأبيات من قصائد الشاعر.

وفيما يأتي يلاحظ الشاعر يأخذ المعاني والأفكار من القرآن الكريم:-

1-قوله في قصيدة ترحيبية:

أَهْلاَ بِمَجْمَعِ حَقِيقَةِ النَّاصِحِ ٱلمَشْكُور ذِي
بَحْـــــــــــرَي الهِمَمِ
الشَّرِيعَـــــةِ وَٱلـ

فكرة الجمع بين البحرين مأخوذة من القرآن ذكرت في مواضع متعددة، منها قوله ﴿ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې﴾ [الكهف، الآية: 60].

2-قوله في قصيدة أخرى ترحيبية:

وَعِشْتَ مُبَارَكًا

بَـــــــــــــــــرًّا وَتَنِيـــــــــــــــــــــــــــــلَ

تَقِيًا عَالِمَا ٱلْعُلَمَا ٱلْخَيْرِ هُمَا مَا

جمع للشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم إنياس صفات سبق أن جمع لسيدنا عيسى عليه السلام، كما جاء في قوله ﮋ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ ﭧ ﭦ ﭥ ﭤ ﭣ ﭢ ﭡ ﭠ ﭟ ﭞ ﭝ ﭜ ﭛ ﭚ ﭙ ﭘ ﭗ ﭖ ﭕ ﭔ ﭓ ﭒ ﭑ ﭐ ﮊ [سورة مريم، الآيات: 30-32]

3-قال في قصيدة مدح بها الشيخ إبراهيم إنياس:

وَمَا قُلْتُ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ الدَّهْرَ صَدِّقْ

فَـــــــــلاَ تَكُنْ لِتَسْتَعِدَا

في هذا البيت دلالة واضحة إلى أخذ الشاعر للأفكار والمعاني من القرآن الكريم، قال الله ﮋ ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﯻ ﯺ ﯹ ﯸ ﯷ ﯶ ﯵ ﯴ ﯳ ﯲ ﯱ ﯰ ﯯ ﯮ ﯭ ﯬ ﯫ ﯪ ﯩ ﯨ ﯧ ﯦ ﯥ ﯤ ﯣ ﯢ ﯡ ﯠ ﯟ ﯞ ﯝ ﯜ ﯛ ﯚ ﯙ ﯘ ﯗ ﯖ ﯕ ﯔ ﯓ ﯒ ﯑ ﯐ ﯏ ﯎ ﯍ ﯌ ﯋ ﯊ ﯉ ﯈ ﯇ ﯆ ﯅ ﯄ ﯃ ﯂ ﯁ ﯀ ﮿ ﮾ ﮽ ﮼ ﮻ ﮺ ﮹ ﮸ ﮷ ﮶ ﮵ ﮴ ﮳ ﮲ ﮱ ﮰ ﮯ ﮮ ﮭ ﮬ ﮫ ﮪ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌ ﮋ [آل عمران، الآية: 60].

4-قوله في إحدى القصائد التي رثى بها الشيخ إبراهيم:

فَقْدٌ بِهِ بَكَـــــــــــتِ وَجَمِيعُ مَنْ حَوَتَا عَلَى ذَا

ٱلأَرَاضِي وَالسَّمَا ٱلأَشْجَع

في هذا البيت أخذٌ للفكرة من القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [الدخان، الآية: 29].

5-قال الشاعر في رثاء الشيخ إبراهيم نَهُنْقُيِ (Na Hun}uyi):

وَاسْتَفَادُوا مِنْ ذَلِكَ وتأس بِٱلْقَـــــــــــادَةِ

أَجْمَـــــــــل صبر ٱلأَعْـــــــلاَمَـــــــــــــا

في هذا أيضا أخذٌ من القرآن، قال الله ﮋ ﯹ ﯸ ﯷ ﯶ ﯵ ﯴ ﯳ ﯲ ﯱ ﯰ ﯯ ﯮ ﯭ ﯬ ﯫ ﯪ ﯩ ﯨ ﯧ ﯦ ﯥ ﯤ ﯣ ﯢ ﯡ ﯠ ﯟ ﯞ ﯝ ﯜ ﯛ ﯚ ﯙ ﯘ ﯗ ﯖ ﯕ ﯔ ﯓ ﯒ ﯑ ﯐ ﯏ ﯎ ﯍ ﯌ ﯋ ﯊ ﯉ ﯈ ﯇ ﯆ ﯅ ﯄ ﯃ ﯂ ﯁ ﯀ ﮿ ﮾ ﮽ ﮼ ﮻ ﮺ ﮹ ﮸ ﮷ ﮶ ﮵ ﮴ ﮳ ﮲ ﮱ ﮰ ﮯ ﮮ ﮭ ﮬ ﮫ ﮪ ﮩ ﮨ ﮧ ﮦ ﮥ ﮤ ﮣ ﮢ ﮡ ﮠ ﮟ ﮞ ﮝ ﮜ ﮛ ﮚ ﮙ ﮘ ﮗ ﮖ ﮕ ﮔ ﮓ ﮒ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌ ﮋ [المعارج، الآية: 5].

6-وقال في التي رحب بها الشيخ أبا بكر سرنبي:

إِذَا حَازَ عِلْمًا لاَ يُضَاهِي وَبل السّوى من فقوه

طلـــــــــــــه المهَامَـــــــــــــــا

نشم في هذا البيت رائحة الأخذ من قوله ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [البقرة، الآية: 265].

7-وقال فيها أيضا:

بِسَنَاكُمُ وَسَنَائِكُـــــــــــمْ مَوْلَى لَيَالِي
قَدْ زَيـــــن ٱلـ ٱلعَصْـــــــــــرِ
وَٱلأَيَّـــامَـــــا

وفي هذا من قوله ﴿ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک﴾ [الملك، الآية: 5].

وأحيانا يأخذ الشاعر أفكاره من الأحاديث النبوية الشريفة كما في الأمثلة الآتية:

1-يقول في قصيدة مرثية:

وَذَلِكَ لاَ يَرْضَى بِهِ كُلُّ حَلاَوَة حُبّ الخَالِق ٱلبر ذِي
ذَائِـــــــــــق ٱلجللِ

نشم في هذا البيت رائحة أخذ الفكرة من قوله ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا"[1].

2-وقال في قصيدة ميمية رحب فيها بقدوم أبا الحسن الشيخ علي سيس:

إِذَا أَنْتُمْ للاء لاَ يَشْقِي هَذَا
جَلِيسُكُـــمُ ٱلمَقَـــــــــــال
وَرَبي غير مُتَّهِمِ

نجد الشاعر في البيت يأخذ الفكرة والمعنى من قوله صلى الله عليه وسلم: "أولئك قوم لا يشقي جليسهم"[2].

3-وقال في ميمية أخرى رحب بالشيخ أحمد التجاني بن الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي:

وَذَاكَ نَاصِرُ دِينِ ٱلحَقِّ عِنْدَ عِي مُبْغِضِيهِ إِلَى
تَـــــــدَا إِيذَائِـــــــــــهِ أُمَمَا

ونجد في ذلك أخذا من قوله ﷺ: "ستتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها".

---

[1]- مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري، دار الفكر، بلا تاريخ، ص: 40.

[2]- النووي، يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، شركة القدس، الطبعة الأولى 1422هـ - 2006م، ص: 390.

4-ويقول في قصيدة رثى بها الشيخ عبد الله يعقوب "طَنْدُمي" ([andume]):

وَلِهَـــــــــــــذَا مِثْلُ مَا كَانَـــــــــــــتِ
كَانَـــــــــتْ مَمَـــــاتُكَ ٱلْحَيَاةِ هُمَـامِي
خَيْرًا

وفي هذا أيضا أخذ من قوله ﷺ: "حياتي خير لكم ومماتي خير لكم".

5-ويقول في أخرى ترحيبية:

أَمَّا الَّذِي أَنْتُمْ مُنَاهُ وَحَظُّهُ * أُولى أنوف ذنوبه إِرْغَامَا

استفاد الشاعر فكرة من حديث الرسول ﷺ واستعملها في هذا البيت، والحديث هو قوله ﷺ: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة".[1]

وقد يأخذ الشاعر المعاني والأفكار ممن سبقه من الشعراء في الأمثلة الآتية:-

1-يقول الشاعر في ترحيبه للشيخ علي سيس:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِهَذَا السَّيِّدِ حِلْفِ التُّقَى وَالنَّقَى وَٱلْعِلْمِ
ٱلعَلَـــــــــمِ وَٱلْحِكَمِ

جمع الشاعر لممدوحه صفات جمعها الفرزدق في علي بن الحسين حين يرد على هشام بن عبد الملك إذ سمعه يقول حينما رأى علي بن الحسين في موضع التجلة من الناس: (من هذا) تجاهلا لأمره، وغضا من قدره فشق ذلك على الفرزدق فأجابه بقصيدة فيها هذا البيت:

هَذَا ابْن خَيْر عِبَادُ اللهِ هَذَا التَّقِيّ النَّقِي الطّاهِرِ
كُلِّهِـــــــــــمُ ٱلعَلَـــــــــمِ[2]

[1] - السيد أحمد الهاشمي، مختار الأحاديث النبوية، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار الفكر، حرف الراء، ص: 75.

[2] - الأصفهاني، أبو الفرج (بلا تاريخ)، الأغاني، دار الفكر، بيروت، ج: 10، ص: 378.

2-يقول في القصيدة التي رحب فيها بالشيخ أحمد:

بَرْهَامُنَا سِرُّ خَتْم ٱلأَوْلِيَاء إِرْشَادِه ٱليَوْمَ عَمَّ ٱلعَرْب وَمِـــــــــــنْ وَٱلعَجَمَا

ففكرة ذكر العرب والعجم في شيء يعم الناس جميعا جاءت في مواضع كثيرة في الشعر والنثر وفي مناسبات مختلفة ولكننا هنا نشم من الشاعر رائحة اقتباسها من شعر الفرزدق في رده هشام بن عبد الملك حيث قال:

وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا ٱلْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ بِضَائِـــــــــــــرِهِ وَٱلْعَجَمِ[1]

3-ويقول في إحدى القصائد التي رحب بالشيخ إبراهيم إنياس:

أَهْلاً بِمَنْ شُغُلُهُ مَا عَاشَ خدَّامه سبقهُمْ نـــــــار خِدْمَةُ منْ عَلَـــى علَـــمِ

أخذ الشاعر فكرة وضع نار على جبل للدلالة على اعتلاء الشيء وسموه ورؤية الناس له من بعيد لارتفاعه وعلو منزلته من شعر الخنساء، حيث قالت في رثاء أخيها صخر:

وَإِنْ صَخْرًا لتَأتم ٱلهُدَاة كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأسِهِ بِـــــــــهِ نَـــــار[2]

4-قال الشاعر في نونيته التي مدح بها الشيخ إبراهيم:

إِذَا أَنْتَ شَمْسٌ وَٱلْقُطُوفُ أَوْ أَنْـــــتَ سُلّطَانٌ هُمُ كَوَاكِبُ ٱلأَعْوَان

إذا أمعنا النظر في هذا البيت نجد أن في صدره أخذ فكرة من بيت المتنبي في مدحه لسيف الدولة حيث قال:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِـــــــب كَوْكَبُ[3]

5-قوله في همزية مدح بها الشيخ إبراهيم:

أَم ثغر فَجْر قَد تَبَسَّمَ طَالَتْ عَلَيْنَا لَيْلَةُ

---

[1] - المرجع السابق.

[2] - حسن إدريس كنم، مذكرة مختصرة في تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، ص: 43.

[3] - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار الفكر (بلا تاريخ)، ص: 44.

بَعْدَمَا دَرْعَـــــــاء

فالشاعر في هذا البيت اقتبس من فكرة شمس الدين بن العفيف التلمساني المعروف بالشاب الظريف في قوله:

تَبَسم ثغر النُّور عَنْ طِيب وَأَقْبَلَ فِي حُسْنِ يَجل عَنِ نَشْره ٱلوَصْفِ[1]

تبسم ثغر النور في شعر الشاب الظريف وتبسم ثغر الفجر في شعر الشاعر.

6-يقول في أخرى ميمية مدحية:

لأَنِّي فِي حَبِيبِي ذَا بِلاَ فَخْرٍ وَلاَ دَعْوَى جذَام كَـــــلاَم

إِذَا قَالَتْ حُذَام فَإِنَّ ٱلقَوْلَ مَا قَالَتْ فَصَـــــــدِّقُوهَا حُذَام

استفاد الشاعر في البيت الأول من فكرة كثيّر عزّة لأن (حذام) امرأة من العرب اشتهرت بصدق الحدس، أما البيت الثاني نقله الشاعر برمته كما هو في شعر كثير، يقول كثيّر عزّة.

7-قوله في همزية يمدح بها الشيخ إبراهيم إنياس:

إِن جَالس ٱلأَصْحَاب صَارَ كَأَنَّهُ * بَيْنَ ٱلبُدُورِ الزَّاهِرَات ذَكَاء

وفي هذا أيضا أخذ الشاعر الفكرة والمعنى من بيت المتنبي السابق الذي مدح فيه سيف الدولة بقوله:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِب * إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

لأن الشاعر شبه فيه ممدوحه الذي هو الشيخ إبراهيم بالشمس بين البدور المنيرات التي لم تبلغ قوة نورها قوة ضوء الشمس كما شبه أبو الطيب المتنبي ممدوحه سيف الدولة بالشمس بالنسبة للكواكب التي لا طلوع لها بعد طلوع الشمس.

ثم أن الشاعر يأخذ الأفكار أحيانا من أمثال العرب ومن حكمهم كما نجده يقول في قصيدة ميمية ترحيبية:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِشِبْل شَابَهُ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَاهُ ٱلأمْر مَا

[1] - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار الفكر (بلا تاريخ)، ص: 221.

ٱلأَسَد ظَلَمَا

وجاء من أمثال العرب قولهم: (من شابه أباه ما ظلم) ويقول في مدحية أخرى:

وَهُوَ الّذِي شَهِدَ ٱلعِدَاتُ وَٱلْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ بِفَضْلِهِ ٱلأَعْدَاء

يقول الحكماء: (والحق ما شهدت به الأعداء).

المبحث الثالث: القيم الفنية:

العنصر البياني:

وهو عبارة عن ذكر بعض ما في هذه القصائد من النكتات البيانية.

التشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه، وقد كان له تأثير في النفوس لما يحمل في طياته من فصاحة الكلام، ولكونه ركنا أساسيا في بلاغة الكلام، وعليه تعتمد الاستعارة.

استعمل الشاعر هذا الضرب من الكلام في غير موضع من قصائده، يقول مثلا في مطلع قصيدة ترحيبية:

أَهْلاً بِطِبِّ يُبْرِءُ تِذْكَـــارُهُ فِي ٱلْقَلْبِ الْأَسْقَامَـــــــــا وَالآلاَمَا

شبه الشاعر ممدوحه في البيت بدواء يشفي العليل مما يعاني من الأوجاع، وأنه عالم كبير يخرج الجاهل من ظلمة الجهل وينقذه من ضرره.

ويقول في نفس القصيدة:

أَكْرِمْ بِهِ بَحْرًا خَضَمَا مَا نَالَ غَايَتَهُ الّذِي قَدْ النَّدَى عَامَا

وشبهه في هذا البيت بالبحر الكبير في تشبيه مؤكد لأن الشاعر لم يذكر فيه الأداة، أما وجه الشبه فمذكور لأن لفظ "الندى" يريد به الشاعر "في العطا" فهو الوجه.

وقال فيها أيضا:

أَشْجَع بِهِ لَيْثُ ٱلمَعَارِكُ بِحِسَامِهِ البَتَّارِ يفْرِي
لَمْ يَزَلْ إِلْهَامَا

في هذا البيت تشبيه بليغ حيث عقد الشاعر التشبيه بدون ذكر أداة التشبيه ووجه بادعاء أن ممدوحه هو الأسد نفسه، وهو من أقوى التشبيهات وأبلغها أثرا في النفوس.

وقال مرحبا:

يَا مَنْ قَضَى اللهُ أَنَّ ٱلخَيْرَ أَوْجَبَ مَا * لَهُ مِنَ النَّعْتِ يَا ذَا
ٱلجُودُ كَالدِّيم

نجد الشاعر في هذا البيت يشبه ممدوحه بالسحابة الممطرة في العطايا والهبات الكثيرة، وعقد في ذلك تشبيها مرسلا ومفصلا، كان التشبيه مرسلا لأن الشاعر ذكر فيه أداة التشبيه وهي الكاف في قوله (كالديم) وكان مفصلا لأن الشاعر ذكر فيه وجه الشبه وهو (الجود)، فأمثال هذه التشبيهات كثيرة في القصائد.

الاستعارة:

"هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[1].

من أهم خصائصها إلباس المعنوي ثوب المحسوس والعكس، ومن خصائصها أيضا الإيجاز، فهي تعطي المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، ومنها تأكيد المعنى وتفخيمه، ومن خصائصها أيضا حسن البيان وتحريك المشاعر وتنبيه العقول وتنشيط الأذهان.[2]

وقد يستعمل الشاعر هذا النوع من البلاغة في أشعاره مما يدل على اتساع فصاحته وكثرة ثقافته، وأنه اطلع كثيرا على أشعار الأقدمين، فنجده مثلا يقول في رثاء الشيخ إبراهيم:

---

[1] - بسيوني، عبد الفتاح فيود الدكتور، علم البيان دراسة بلاغية ونقدية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر
والتوزيع، بلا تاريخ، ص: .

[2] - المرجع السابق.

يَا قَوْمُ هَلْ حَرُمَ ٱلْبُكَاءُ مِنْ فَقْدِ مِصْبَاحِ الظّلاَم بِأَدْمع ٱلأَلْمْعَ

شبه الشاعر ممدوحه في هذا البيت بالمصباح في جامع الإنارة فصرح في ذلك بلفظ المشبه به وهو المصباح على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال في قصيدته التي رحب فيها بالشيخ أبي بكر سرنبي:

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ وَٱلْهُمُوم إِلاَّ انْهِزَامَا جَازَاتِ تَعُضّنِي ٱلأَحْلاَمَا

فإن إسناد العض إلى الهموم مجاز، أي أنه شبه الهموم بالحيوان فحذف المشبه به وهو الحيوان، ورمز له بشيء من لوازمه وهو "العض" على سبيل الاستعارة المكنية.

ونفس الشيء بقوله في هذا البيت:

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ وَالهم يَلْسُعُنِي * إِلاَّ انْثَنَى عَنْ جَانِبِي أَي مهزَم

وقال في التي رحب فيها بالشيخ علي سيس:

فَأَهْلاً بِهِ إِذْ جَاءَ نُورًا بِهِ الدُّجَى * يَزُولُ وَبَحْرًا لِلْعَطَايَا ٱلْجَزِيلَة

استعمل الشاعر في هذا البيت الاستعارة التصريحية حيث شبه ممدوحه بالنور، وصرح في ذلك بلفظ المشبه به وهو (النور) وحذف المشبه وهو (الممدوح) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وشبه الجهل الذي يزيله الممدوح (بالظلام) في جامع الظلمة والسواد فحذف المشبه الذي هو (الجهل) وصرح بلفظ المشبه به وهو (الدجى) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال أيضا في ترحيبه بالشيخ أحمد التجاني بن الشيخ إبراهيم إنياس:

أَهْلاً وَسَهْلاً بِشِبْلٍ شَابَهُ ٱلأَسَدِ * وَمَن يُشَابِه أَبَاهُ الأمّ مَا ظَلَمَا

شبه الشاعر الشيخ إبراهيم إنياس في هذا البيت بالأسد فحذف لفظ المشبه وهو (الممدوح) وصرح بلفظ المشبه به وهو (الأسد) والاستعارة تصريحية.

كما شبهه في بيت آخر يلي هذا بالسراج وقال:

أَعْنِيكَ أَحَد كِبَارَ ٱلأَوْلِيَا خَرَجُوا * مِنْ صُلْبِ خَيْرِ سرَاجِ نوّر الظَّلَمَا

شبهه بالسراج في جامع البياض والإنارة فحذف في الاستعارة لفظ المشبه وصرح فيها بلفظ المشبه به.

وقال في مطلع القصيدة التي رحب فيها بقدوم الشيخ علي سيس:

مَعَاشِرَ دِينِ الْمُصْطَفَى وَالطَّرِيقَةِ * أَتَانَا لِسَانَ الفَيْضَةِ ٱلأَحْمَدِيَّةِ

وذكر اللسان في هذا البيت مجاز مرسل وعلاقته الجزئية وذلك لأن اللسان جزء من الإنسان، وذلك مثل قول شاعر:

كَمْ بَعَثْنَا ٱلْجَيْش جَرَّا * رًا وَأَرْسلنَا الْعُيُـــــــون

وكمثل قوله ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ [المسد، الآية: 1].

وقال يدعو أهل وطنه:

أنيجيريا فلتحمدي الله واشكري * أَتَاكَ بعيدِ الْيَأس زَين ٱلأَئِمَّة

وفي دعوة الشاعر نيجيريا في هذا البيت مجاز مرسل علاقته محلية حيث سمى الشاعر المحل وأراد بذلك من بالمحل، أي دعا نيجيريا وأراد أهلها.

وقال:

يَا صِنْو شَمْسُ الْعَارِفِينَ اضى فَخُذْ بِأَسِيرِ حُبّ وَزِيرِه ال هَامَا

فالشاعر هنا لا يعني بشمس العارفين الشمس الحقيقية بل المراد به الممدوح الذي شبهه بالشمس في جامع البياض والضياء وصرح في كلامه بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

العنصر المعنوي:

يعرفه البلاغيون بقولهم: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"،[1] أي أنه يبحث في بناء الجملة العربية وصياغتها واختيار أجزائها، وعلاقة الجمل بعضها ببعض كمواضع الفصل والوصل، واختيار نوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب، خبرا كان أو إنشاء، أو غير ذلك من فنون علم المعاني.

وقد استعمل الشاعر شيئا من المعنويات في أشعاره، وسوف يكتفي الباحث في ذلك بالإشارة إلى بعض الجمل الإنشائية، والإنشاء على حد قول البلاغيين: "قول لا يحتمل الصدق والكذب"، وينقسم إلى طلبي وغير طلبي، فالطلبي هو ما يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وأما غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوبا وله صيغ كثيرة.

وظاهرتا الأمر والنهي اللتان من الإنشاء الطلبي كثيرة في قصائد الشاعر، وكذلك بعض الصور الإنشائية، سوف يذكر بعضا منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

ومعلوم أن للأمر صيغ، ولكن التي تناولها الشاعر في قصائده فمنها:

فعل الأمر، مثل قوله:

قُولُوا لَهُ ٱلْحُسْنَى عِبَادَ اللهِ كَيْ * لاَ تُصْبِحُوا مَأْوَاكُمُ النّيرَان

ونوع هذا الطلب (التماس) لأن الشاعر يطلب من إخوانه الذين سوى نفسه بهم في العبودية، لم يفضل نفسه عليهم ولا أنفسهم على نفسه.

وقوله:

فَاسْأَلْ إِلَهَكَ أَن يَمُنَّ بِعَوْدَتِي * لِمَقَرّ سِرّ ٱلْخَتْمِ هَذَا الْعَامَا

---

[1] - بسيوني، عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة بلاغية ونقدية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، بلا تاريخ، ص: 30.

فكلمة "فاسأل" في هذا البيت أمر، وهو من الإنشاء الطلبي.

وقوله:

خُذْ بِالَّذِي لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ عِنْدَ ذَا * مَا ضَرَّهُ مِنْ غَيْرِكَ ٱلْخِذْلاَنُ

وقوله:

فَارْحَمْ دَنَاءَتَهُ وَقَلِّبْ حَالَهُ * مَنْ صَارَ ءَاسَادًا بِهِ ٱلْفِيرَانُ

ونوع الأمر في هذه الأبيات الثلاثة (دعاء) لأنه أمر صدر من الأدنى إلى الأعلى.

ومنها: المضارع المقرون بلام الأمر، مثل قوله:

لِتَضْمَن ذَاكَ لِي أَن قَلْبِي * إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَة ذُو غَرَام

وقوله:

لِتَرْضَى بِهِ شَيْخًا إِلَى ٱلْخَيْرِ هَادِيًا * بِذَلِكَ تُرْضِي رَبَّنَا بَارِئَ النَّسَمِ

بدأ الشاعر كلا البيتين بالمضارع المقرون بلام الأمر في قوله (لتضمن) في البيت الأول و(لترضى) في الثاني.

ومنها: اسم فعل الأمر، مثل قوله:

عَلَيْكَ بِهِ دَوَامًا فَالْتَزِمْـــــــــــهُ *

بِصِـــــــــــــــــــدْقِ مَحَبَّةٍ أَيَّ الْتِزَامِ

تَرَى بَرَكَاتِ ذَلِكَ كُلَّ حِينٍ * وَخَيْـــــــــــــــرَاتٍ تَجِيءُ بِلا انْصِرَامِ

عَلَيْكَ بِهِ فَصَاحِبْهُ لِتُشْفَى * بِهَا مِـــــــــنْ كُلِّ أَنْوَاعِ السِّقَامِ

عَلَيْكَ بِهِ فَإِنَّ اللهَ يَرْضَى الْـ * أُولَى مَعَ ذَا الْكَرِيمِ ابْنِ الْكِرَامِ

فأوائل الأبيات: الأول والثالث والرابع كلها اسم فعل أمر، أي قوله: (عليك به).

أما النهي فهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة، هي المضارع مع (لا) الناهية، وقد تناول الشاعر مثل هذه الصيغة في قصائده، ويقول مثلا:

لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ عَلَى أَنْ تُبْغِضُو * هُ مَا عَلَيْهِ الْمَعْشَرُ اللُّؤَمَاءُ

وقال أيضا:

لاَ تَتْرُكَنِّي مُهْمَلاً يَا سَيِّدِي * مَا لِي سِوَاكَ كَمَالَكَ الْأَمْلاَءُ

فكلام الشاعر في البيت الأول (نهي) أما في الثاني فـ(دعاء) لأنه نهي صدر من الأدنى إلى الأعلى.

ومن الصور المعنوية التي تناولها الشاعر في قصائده الاستفهام، ويستفهم بالهمزة و "هل"، يقول الشاعر مثلا:

أَتَعْرِفُهُ أَخِي أَمْ أَزِدْكَ * بَيَانًا شَافِيًا فِي ذَا الْإِمَامِ

ومعلوم أن الاستفهام يخرج أحيانا عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد بالقرائن منها: النفي، جاء ذلك في شعر الشاعر مثل قوله:

أَيَرْغَبُ فِيمَا لَيْسَ يَبْقَى وَإِنَّهُ * جَلِيسُ رِجَالُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْعَقَلِ

ومعنى الاستفهام في هذا البيت (النفي) أي لا يرغب فيما ليس يبقى، وهو ما يفنى لا يرغب فيه رغم كون جلساءه رجال الدين والعلم والعقل ولا ينبغي لمن جالس العلماء العقلاء أن يؤثر الدنيا على الآخرة.

ومنها: التمني؛ في مثل قول الشاعر:

فَهَلْ لَكُمْ فَكُّ الْأَسِيرِ الَّذِي شَكَى * إِلَيْكُمْ أَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ الْعَلِيلَة

وَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَضْمَنُواْ لَهُ عَـــــــــــوْدَة * لِكَــوْلَخِ مُغْنِي الْأَوْلِيَاءِ الْأَجِلَّة

فـ(هل) في كلا البيتين لا للاستفهام، إنما هي للتمني، يتمنى الشاعر من شيوخه أن يفكوا عنه القيود التي تعرقله وتمنعه من الزيارة، ويضمنوا له العودة إلى مدينة كولخ لزيارة شيخه.

ومن صورة الإنشاء الطلبي الواردة في قصائد الشاعر (النداء)، وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو، وله حروف كثيرة، منها (يا) استعملها الشاعر في مواضع كثيرة من قصائده، منها ما يأتي:

قوله:

يَا صِنْو شَمْسُ الْعَارِفِينَ وَزِيرُهُ ال * أَرضى فَخُذْ بِأَسِيرِ حُبٍّ هَامَا

وقوله في أخرى:

يَا رَبّ فَاجْعَلْنِي خَدِيمَ جَنَابِهِمْ * أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَ يَا حَنَّانُ
وَأَنَلْ ذُرِّيَّتِيَ الضَّعِيفَةَ قُـــــــــــــــوَّةً * فِي دِينِكَ ٱلمَرْضِيِّ يَا دَيَّانُ

وقال:

أَنتَ الْكَرِيمُ ٱلمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ الْـ * ـمُعْطِي الَّذِي يَرْجُوكَ يَا مَنَّانُ

استعمل الشاعر هذا الحرف (يا) في خمسة مواضع من هذه الأبيات الأربعة واستعمله في كل موضع للدلالة على علو مرتبة المنادى.

أما الإنشاء غير طلبي، فقد جاء بعض صوره، منها ما يلي:

1-القسم، مثل قوله:

يَا قُرَّةُ الْعَيْنِ مَحْبُوبِي التِّجَانِي وَبَا * رِئَ الْخَلْقِ إِنَّكَ كُنْتَ الدَّهْر مُحْتَرِمًا

استعمل الشاعر في هذا البيت صورا من صور علم المعاني، منها "يا" التي استعملها للدلالة إلى علو مرتبة المنادى وسمو مكانته.

ومنها: القسم، حيث أقسم الشاعر ببارئ الخلق وهو الله سبحانه وتعالى، والقسم إنشاء غير طلبي.

ومنها: الإيجاز، استعمل الشاعر في هذا البيت إيجاز حذف في قوله: وبارئ الخلق، بدلا من أن يقول وببارئ، أي وأقسم ببارئ الخلق فحذف أداة القسم، وهي الباء.

2-التعجب، وله صيغتان، هما (ما أفله) و (أفعل به) استعمل الشاعر كلا الصيغتين في قصائده، يقول مثلاً:

قَيْد الْخَطَايَا وَعَدَم الطّول اشْتَرَكَا * علي مَا أَقْبَح الْعدم وَالآثَامَا

ولفظ (ما أقبح) من فعلي التعجب، هو على وزن (ما أفعل)، ويقول:

أَكْرِمْ بِهِ بَحْرًا خَضْمَا لِلنَّدَى * مَا نَالَ غَايَتَهُ الَّذِي قَدْ عَامَا
أَشْجِعْ بِهِ لَيث الْمعرك لَمْ يَزَل * بِحسامـــــــــــه الْبَتَّار يَفْرِي الْهَامَا

بدأ الشاعر هذين البيتين بفعلي التعجب، هما: "أكرم به" و "أشجع به".

العنصر البديعي:

يطلق البديع في اللغة على إيجاد الشيء واختراعه على غير مثال، ٹ ٹ چڭ ۇ ۇچ [البقرة، الآية: 117] كما يطلق على الجديد، وعلى الشيء العجيب الغريب، كما في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سِجِّيَة تِلْكَ فِيهِم غَيْر مُحْدَثَة إِنَّ الْخَلاَئِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ

والبديع من أقسام علوم البلاغة الثلاثة يقصد به تحسين الكلام وتزيينه، وقد أورد الشاعر بعضا من فنونه مثل الجناس والطباق والمبالغة كما سيأتي توضيح ذلك إنشاء الله.

أَهْلاً وَسَهْلاً بِالّذِي إِنْ أَمَّ أَرْضًا عَمَّتْ نَفَحَاتُـــــــهُ الْأَقْوَامَا

إذا نظرنا إلى عجز هذا البيت نجد أن الشاعر عقد فيه جناس غير التام بين لفظي أمّ وعمّ فقد اتفق اللفظان في عدد الحروف وشكلها وترتيبها ثم اختلفا في نوع الحروف.

ويقول أيضا:

شَيْخِي أَبُوبَكَرِ الّذِي لَمْ تِيمَ الْهَوى إِلاّ حَوَى يَأْتِـــــــهِ مَا رَامَا

فبين لفظي (الهوى) و (الحوى) جناس غير التام، ذلك لأن اللفظين اتفقا في عدد الحروف وشكلها وترتيبها واختلفا في نوعها.

ويقول في الرثاء:

وَجْهٌ تَمَيَّزَ فِضَّةً عَنْ ذَا كُلّه مِنْ نُورِهِ
فِضَّـــــــــــــــةٍ الْمُتَشَعْشَع

وبين لفظي (فِضة) و (فَضة) جناس غير التام، اتفق اللفظان في عدد الحروف وترتيبها ونوعها واختلفا في الشكل.

استورد الشاعر لونا آخر من البديع اختلفت آراء العلماء فيه قبولا وردا، ألا وهو (المبالغة)، فبعضهم رأى قبول المبالغة مطلقا وبعضهم رأى ردها مطلقا حيث رأى البعض الآخر قبول أنواع منها ورد أنواع أخرى، والصواب هو الرأي الثالث الذي توسط بين الرأيين السابقين، وقيل من المبالغة ما جاء معتدلا ولم يتجاوز حدود العرف والعادة ولم يخرج على تعليم الدين الحنيف، ورد ما عداه.

والمبالغة في علم البديع هي: ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا.

فنجد الشاعر يقول مبالغا:

أَدْرَيْتهُ يَا صَاحِ أَمْ إِنَّهُ حبر يُفِيدُ بِرَمْزِهِ
لاَسِيَّمَا إِنْ قَالَ قَوْلاً الْإِفْهَامَا
وَاضِحًا مَا فِيهِ تَلْوِيح وَلاَ
أَعْنِي بِهِ صِنْو الَّذِي إِبْهَامَا
لَوْلاَهُ جـــ لُ الْخَطر فِي هَذَا
الزَّمَانِ وَدَامَا

فقوله: "لولاه جل الخطر في هذا الزمان وداما" فالهاء في (لولاه) ضمير يعود إلى صاحب الفيضة الشيخ إبراهيم إنياس أي لولا مجيئه لتفاقم الخطر واشتد في هذا الزمان، ولكان خطرا دائما لا يزال، فهذه مبالغة في الوصف.

ومن الألوان البديعية التي اوردها الشاعر في شعره "الطباق"، ويراد به في اللغة: الموافقة وفي اصطلاح البلاغيين: هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام.

يقول الشاعر:

بَرْهَامَ أَسْتَاذُ ٱلأَسَاتِذَةِ حَازُوا عُلُومًا تَذْهَبُ ٱلأُولَى ٱلأَوْهَامَا

بين كلمتي (علوما) و (أوهاما) طباق.

وقال أيضا:

حَتَّى نَكُونَ كَأَنَّنَا مِنْ فِي ٱلْحِسِّ وَٱلْمَعْنَى أَهْلِهَـــــا لِحُبٍّ قَامَا

بين "الحس" و"المعنى" طباق لأنهما لفظان متضادان.

وفي قوله:

بِسَنَاكُمُ وَسَنَائِكُمْ قَدْ زَيَّنَ مَوْلَى لَيَالِي ٱلْعَصْرِ ٱلْـ وَالأَيَّامَا

ففي لفظي (ليالي) و (الأيام) طباق بين اسمين.

وقوله في الرثاء:

فَقْدٌ بِهِ بَكَتِ ٱلأَرَاضِي وَجَمِيعُ مَنْ حَوتَا عَلَى ذَا وَالسَّمَا ٱلأَشْجَعِ

بين لفظي (الأراضي) و(السما) طباق.

ويقول مثلا:

شَمْسُ ٱلْهُدَى بَحْرُ النّدَى مَاحِي الرّدَى * مَنْ فِي يَدَيْهِ ٱلْمَنْعُ وَٱلإِعْطَاء

بين لفظي (المنع) و (الإعطاء) طباق بين الاسمين.

ويقول:

وَغَدَا بِأَيْدِي الْعُمْيِ كُلُّ أَزِمَّةِ الْـ * ـأَمْلاَءِ لَمَّا ضَعُفَتْ الْبُصَرَاءُ

بين لفظي (العمي) و (البصراء) طباق.

يقول أيضا:

شَيْخٌ بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ تَكَاثَرَتْ * خُدَّامُهُ الْكُبَرَاءُ وَالصُّغَرَاءُ

بين كلمتي (الكبراء) و (الصغراء) طباق.

وهكذا في قوله:

أَنْتَ الَّذِي فَقَّهْتَ جُهَّالَ الْوَرَى * وَتَضَلَّعَتْ مِن سِرِّكَ الْفُقَهَاءُ

عقد الشاعر الطباق بين لفظي (جهال) و (فقهاء).

وقوله في أخرى نونية:

أَنْتَ صَيَّرْتَ مَنْ هُوَ باقل * ومنك الجُودُ وَالْإِعْطَاء

بين لفظي (الجود) أي العطا و(الحرمان) وهو المنع طباق.

الخاتمة

لقد تتبع الباحث في هذه الدراسة الأشعار التي اشتملت عليها قصائد الشيخ خليل طندمي وعالج بعض ما كان فيها من الخصائص الفنية.

تضمنت الدراسة في طياتها أربعة فصول وخاتمة، تناول الباحث في مقدمة البحث التي هي بمثابة الفصل الأول الحديث عن أسباب اختيار موضوع البحث وأهميته وأهدافه وحدوده وإشكاليته ومنهجه ثم الدراسة السابقة حيث تتبع الباحث فيها بعض البحوث التي لها صلة ببحثه.

ثم تناول في المبحث الثاني البيئة التي عاشها الشاعر لما لها من الأهمية لأن الإنسان-كما قيل-ابن بيئته، واشتمل الحديث على النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية.

وتحدث فيه عن نسب الشاعر من جانب والده وجانب والدته، وعن حياته التي بدأت بتاريخ ولادته واشتملت على نشأته وتعليمه وبعض الرحلات التي قام بها في حياته.

وتطرق الباحث في الفصل الثالث إلى الدراسة النظرية بدءًا بمفهوم الفنية والفنان ومميزاته، ثم أنواع الفنون وموادها وغايتها ومعيارها وجمالية الفن وغير ذلك مما له صلة بمفهوم الفنية.

ودرس فيه أيضا الأغراض والألفاظ والأوزان والقوافي والوحدة الموضوعية والقيم الفنية والخيال والأفكار والعاطفة والموسيقى الداخلية دراسة نظرية.

وفي الفصل الرابع التفت الباحث إلى الدراسة التطبيقية التي بدأت بدراسة القصائد وتحليل مضمونها بعد سرد أبياتها.

ثم الدراسة التطبيقية للنقاط التي سبق ذكرها في الفصل الثالث ودرست فيه نظرًا، مثل الأغراض التي تناولها الشاعر في قصائده من مدح ورثاء، ومثل أسلوبه في الشعر، ومثل الأوزان والقوافي حيث ذكر الباحث البحور الشعرية التي عالجها الشاعر والقوافي التي استعملها في القصائد ومثل القيم حيث تناول بالحديث عن العنصر البياني والعنصر المعنوي والعنصر البديعي حديثا موجزًا.

وتحدث-أيضا-عن الموسيقى الداخلية في قصائد الشاعر وعن خياله وأفكاره وعاطفته.

وأخيرًا، فإن هذه الدراسة لا يزعم الباحث فيها بالإحاطة ولا ينزهها عن النقائص ولا عن الأخطاء والعيوب، وإنما هي عبارة عن مجهودات متواضعة قام بها الباحث من أجل خدمة اللغة العربية بصفة عامة والأدب العربي بصفة خاصة.

النتائج:

بعد مطالعة الباحث لقصائد الشيخ وفحص ما فيها من الخصائص الفنية ظهرت له النتائج الآتية:-

1-أدرك الباحث في خلال دراسته لقصائد هذا الشاعر أن الشعراء النيجيريين كانوا على درجة فائقة في استخدام علوم العربية من بلاغة وعروض وغيرهما في انتاجاتهم الأدبية.

2-كون انتاجات هذا الشاعر عبارة عن قصائد كان لها ارتباط وثيق وتأثير كبير بأشعار الشعراء الإسلاميين الأقدمين.

3-لم يكن الشاعر متكسبا بشعره ولا مستهدفا به الشهرة والظهور، بل لا يدفعه لقول الشعر إلا حبا لعلمائه ومشايخه لذلك كانت أهم أغراض شعره مدحا ورثاء وترحيبا.

4-تبين للباحث أثناء دراسته لهذه القصائد أنها عمل فني أراده الشاعر، وهي وسيلة استعان بها في تحقيق أهدافه في المدح والرثاء والترحيب.
5-وجد الباحث بعض الأبيات القليلة التي تخالف الأوزان العروضية المعهودة عند العروضيين.

التوصيات:

يوصي الباحث في دراسته هذه بالتوصيات الآتية:-

- أن تتجه الدراسات الأدبية إلى مثل هذا النوع من الدراسة التي تكشف أعمال جهابذة علمائنا النيجيريين.
- مساهمة الحكومات والجمعيات الخيرية في إنشاء مراكز للبحوث وجمع انتاجات العلماء القدامى منهم والمحدثين ودراستها دراسة تطبق فيها جميع جوانبها العلمية، لما تتضمن من فوائد لا تحصى وتفاديا من الضياع، ولأن العناية بدراستها تكون عونا ومثلا أعلى للأجيال اللاحقة.
- يحسن لكل طالب علم -حسب تخصصه- أن يقوم بجمع إنتاجات العلماء النيجيريين لدراستها.
- فالشاعر الشيخ خليل طندمي شخصية أدبية علمية بارزة يجدر لمن يدرس اللغة العربية وآدابها أن يقوم بمزيد من الدراسات اللغوية والأدبية عنه، وذلك لما يتمتع به من أشعار جديرة بالدراسة.

هذا، وبالله التوفيق،،، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- القرآن الكريم.
- الخليل إبراهيم "طَنْدُمي" (الشيخ)، دبوان المدح والرثاء والترحيب، مخطوط، 2005م.

ثانيا: المراجع:

- أحمد الهاشمي (السيد)، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- أحمد الهاشمي (السيد)، مختار الأحاديث النبوية، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار الفكر.
- أحمد أمين (بلا تاريخ)، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية.
- إبراهيم أنس وآخرون (بلا تاريخ)، المعجم الوسيط، (بلا مكان طبع).
- الأصفهاني، أبو الفرج (بلا تاريخ)، الأغاني، دار الفكر، بيروت.
- بسيوني (الدكتور) عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، الإحساء.
- " " " " " " " ، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، بلا تاريخ.
- " " " " " " " " ، علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، بلا تاريخ.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ.
- جارم علي، أمين مصطفى، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، مصر، ط/7، 1964م.

- الجرجاني، عبد القاهر (الإمام)، أسرار البلاغة، الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م، دار المدني.
- حامد عوني (بلا تاريخ)، المنهج الواضح للبلاغة، الجمهورية العربية الليبية، وزارة التربية للإرشاد القومي.
- حسن ذكري حسن، (الدكتور)، النقد الأدبي عند العرب، بين التاريخ والتأصيل، الطبعة الثانية، رمضان 1425ه – أكتوبر 2004م بدون مكان الطبع.
- حسن إدريس كنم (بلا تاريخ)، مذكرة مختصرة في تاريخ الأدب العربي، (بلا مكان الطبع).
- مجمع اللغة العربية (2006)، المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية.
- محمد زكي العشماوي وآخرون (1989م)، النقد والبلاغة، الطبعة الحادية عشر، وزارة التربية، دولة الكويت.
- مصطفى محمد عمارة (بلا تاريخ)، جواهر البخاري، دار الفكر.
- النووي، يحيى شرف الدين (2006)، رياض الصالحين، شركة القدس، الطبعة الأولى.
- القيرواني، أبو على الحسن بن رشيق (1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل.
- الزيات، أحمد حسن (بلا تاريخ)، تاريخ الأدب العربي، للمدارس الثانوية والعليا، الطبعة الخامسة والعشرون، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- السيوطي، جلال الدين (911ه)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، القدس.
- سويد، علي نائبي (الأستاذ) علي نائبي سويد، كيف نتذوق الأدب العربي، دار الأمة، بلا تاريخ.
- شلتاغ عبود شراد (الدكتور)، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى 1419ه – 1998م، عمان، مجد الأوبري للنشر.

- شوقي ضيف، (الدكتور)، في الأدب والنقد، دار المعارف، بدون تاريخ.
- " " " " "، في النقد الأدبي، الطبعة التاسعة، دار المعارف.
- " " " " "(بلا تاريخ)، البلاغة تطور وتاريخ، الطبعة الثانية عشر، دار المعارف.
- " " " " "، فصول في الشعر ونقده، الطبعة الثالثة، دار المعارف.
- " " " " " (بلا تاريخ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثالثة عشر، دار الفكر.
- شيخو أحمد سعيد غلادنثي (الدكتور)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، من سنة 1804 – سنة 1966م، الطبعة الثانية 1414ه – 1993م، المكتبة الأفريقية.
- عبد القادر القطّ (بلا تاريخ)، مفهوم الشعر عند العرب، دار المعارف.
- عتيق، عبد العزيز (2006)، علم البديع، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية.
- علي أبو بكر (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا، من سنة 1750 إلى 1960م، الطبعة الأولى سنة 1972م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، بلا تاريخ ولا مكان النشر.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.

البحوث العلمية:

- عبد العزيز أحمد ماشي (2005م)، *"فن الرثاء في ولاية كتسنا، نيجيريا، 1970 – 2005م دراسة تحليلية"*، بحث قدمه الطالب إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو.

- محمد المجتبى عبد الله، (2006م)، "*النشاطات الأدبية في محلية طَنْدُمي*،
عرض وتعليق"، بحث قدمه إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو.
- محمد صغير آدم دبي(2009م)، "*ملامح تطور الشعر العربي في ولاية كتسنا*
عرض ودراسة لقصائد علماء كتسنا خلال: 1408 - 1430هـ.
- عثمان جاري كرفي(2010م)، "*مدرسة أنصار دين الإسلام للشيخ إبراهيم الخليل "طَنْدُمي" وأثرها في تطوير الثقافة العربية*"، بحث قدمه الطالب إلى قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يَرْأَدُوَا، للحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها.
- عبد العزيز أحمد ماشي، (2010م)، "*الفصل والوصل في قصائد علماء ولاية كتسنا خلال القرن العشرين الميلادي، دراسة تحليلية بلاغية لنماذج مختارة من قصائد علماء ولاية كتسنا*".
- عمر عيسى مَانِ (Mani)(2012م)، "*الصور البيانية في شعر الشيخ إبراهيم الخليل "طَنْدُمي"، دراسة تحليلية بلاغية*"، بحث قدمه الطالب إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو عام: 2012م.

المراجع الأجنبية:

Mahe, Naziru [alhatu, [andume Hular Kwano.

الملاحق: قصائد الشاعر.